الباب الثاني

المهارات التحصيلية، ويندرج فيه سبعة فصول بسبع مهارات

هي:

(مهـارة الاستمـاع، ومهـارة القراءة، ومهـارة التحدث، ومهـارة الإلقاء، ومهارة الحوار، ومهارة الخطاب، ومهارتا السؤال والجواب).

- الفصل الأول: مهارة الاستماع.

(وكل علمٍ محتاجٌ إلى السماع).

ابن قتيبة الشعر والشعراء ١/٦.

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الأول

مهارة الاستماع

١- ألفاظ ومصطلحات: (السماع، والاستماع، والإنصات، والإصغاء).

٢- أهميته.

٣- أهدافه.

٤- وسائله.

٥- تحققه.

٦- نصوص في الاستماع.

obeikandl.com

obeikandl.com

قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ النحل.

والآية الكريمة ربطت التعلم بخلْقِ هذه الحواس؛ لأنَّ هذه المهارة تعدُّ من أهم المهارات لتحصيل العلم والمعرفة. فالسمع هو وسيلتنا إلى امتلاك اللغة، وإلى الفهم والتعلم. وقد لفت القرآن الكريم النظر إلى أهمية السمع في آيات عديدة، في مثل قوله تعالى مثلاً: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ ۘ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ الأنعام.

ولإدراك قيمة هذه المهارة، ومعرفة دورها، ومكانتها، وأهميتها، فإن الإجابة عما سنطرحه من أسئلة توصلنا إلى الأهداف التي نسعى إليها، ومن الأسئلة العديدة التي تخطر بالأذهان، نطرح الآتي:

- ما قيمة حاسة الأذن بالسماع؟
- وما دورها في التعلم؟
- وما أهمية الاستماع ، ومميزاته، وأنواعه؟
- وما وسائل تحسينه وتطويره؟
- وما الفرق بين مصطلح: الاستماع، والإنصات، والإصغاء؟
- وما وسائل تحسين الاستماع؟
- ولعل قول ابن قتيبة: (**وكل علمٍ محتاجٌ إلى السماع**[1]) يتيح لنا الإجابة عن هذه الأسئلة، ويقفنا على هذه المنحة العظيمة التي وهبنا إياها الوهاب الكريم.

(١) الشعر والشعراء ١/٦.

وترد على أسماعنا مجموعة من الألفاظ والمصطلحات، مثل: «**السماع، والاستماع، والإنصات، والإصغاء**» فهل هي ذات معنى واحد؟ أم تحمل في طياتها تعدّدًا، وتجمع في ذاتها المعنى المؤتلف والمختلف؟

ولعل جولة يسيرة في معاجم اللغة تطلعنا على بعض الفروق في الدلالة، ومن خلالها نحاول توضيح مدلولاتها التي قد تتداخل في أذهاننا، وهي: (**السماع، والاستماع، والإنصات، والإصغاء**).

السماع:

تعريفه: إدراك الأصوات من خلال قوة في الأذن، وهو عملية غير إرادية، تتم دون بذل جهد أو مشقة، فنحن نسمع ما نعرفه، وما لا نعرفه، وما نرضاه، وما نأباه.

وورد في لسان العرب [1]: «السمع: حسُّ الأذن، واستمع له وإليه وتسمَّع إليه: أصغى، والسمع: ما وقر في الأذن من شيءٍ تسمعه (مادة سمع).

والسمع بمعنى الإجابة، كقول المصلي: سمع الله لمن حمده، أي استجاب الله دعاءه.

الاستماع:

بينما يكون السماع عملاً غير مقصود، يكون الاستماع عملية مقصودة لذات المسموع، فيها من الاهتمام، وبذل الجهد ما يجعلها تحتاج إلى:

- إلقاء السمع.
- إحضار القلب.

(١) لسان العرب مادة (سمع).

obeikandi.com

- التدبر فيما يقال.

فالاستماع يبدأ بالسمع، ثمَّ بالفهم، ثمَّ بالإجابة والقبول، ويظهر لنا ذلك من قول الرسول ﷺ: «**نضَّر الله وجه امرئ سمع مقالتي فوعاها، ثم أدّاها إلى من لم يسمعها، فرُبَّ حامل فقه لأفقه منه** [1]».

فالسمع والوعي والإجابة هي خطوات الاستماع.

الإنصات:

يعني السكوت، قال ابن منظور: «الإنصاتُ هو السكوتُ والاستماعُ للحديث، ويُقال: أنصتوني، أي: استمعوا إليَّ» وعند ابن الأثير [2]: «أنصتَ يُنصِتُ إنصاتًا: إذا سكتَ سكوتَ مستمع» فالمقصود من الإنصات السكوت والسماع، وهو إنصاتان: إنصاتٌ باللسان، وإنصاتٌ بالجوارح، ويحتاج إلى:

- عدم التحدث.
- عدم الانشغال عن السماع فكرًا وجوارح.
- تركيز الانتباه في حاستي السمع والبصر.

واللفظان يتبادلان المواقع، ويبدو بعض الفرق عند من رأى أنَّ الإنصات باللسان، والاستماع بالأذنين، ويتضح الفرق اليسير بينهما في قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾ الأعراف.

ولا بد للاستماع من الإنصات؛ ليتحقق الفهم والإدراك.

---

(١) رواه أحمد برقم ٤١٥٧- وروايته: «نَضَّرَ اللهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَحْفَظُ لَهُ مِنْ سَامِعٍ». وفي سنن أبي داود رقم ٣٦٦٢ وفيه برواية: «نضر الله امرأ سمع منا حديثًا فحفظه حتى يبلغه...».

(٢) المثل السائر ج٥ ص ٦٢.

الإصغاء:

جاء في لسان العرب: «أصغى إليه رأسه وسمعه: أماله».

والميل حسي ومعنوي، فقد يكون الميل ظاهريًّا بالجسد، كأن تميل إلى محدثك، وتقترب منه بسمعك ورأسك، وجسدك، وقد يكون داخليًّا بأن تميل إليه بقلبك، فالإصغاء يكون بالجسد والقلب، قال تعالى: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَا ﴿٤﴾﴾ التحريم.

وقال تعالى: ﴿وَلِتَصۡغَىٰٓ إِلَيۡهِ أَفۡـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ وَلِيَرۡضَوۡهُ وَلِيَقۡتَرِفُواْ مَا هُم مُّقۡتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾﴾ الأنعام.

فإذا اكتملت هذه الأمور الثلاثة وتوافقت، فالأذن تسمع، واللسان يُنصت، والجسد والقلب يُصغيان، فقد تحقق المطلوب من الاستماع.

أهمية الاستماع:

ليست الأذن ممرًّا أجوف لعبور الأصوات، وإنما هي نافذة تنفذ منها أصوات الحروف وصورها، وعن طريقها نتملّى أشكال هذه الحروف ونغماتها، فالأذن هي نقطة البدء في التعلم، من هنا فإن كل المناهج التعليمية قديمًا وحديثًا تهتمُّ بلغة السماع؛ لأنها المنطلق السليم للتعلُّم.

ولقد فطن العرب القدماء إلى أهمية السماع والتلقِّي والمشافهة في تكوين ملكة اللغة والاقتدار عليها. فكان إرسالهم أبناءهم إلى البادية لسماع اللغة السليمة طريقًا إلى الفصاحة، ومعبرًا لاكتساب اللغة، وهذا رسولنا الكريم ﷺ يبين لنا سبب فصاحته، فيقول[1]: «**أدَّبني ربّي فأحسن تأديبي، ونشأتُ في بني سعد**».

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر ٣/١.

وهذا الحديث يبيّن أن القدرة اللغوية اكتسابًا وتنميةً تكمن في السماع.

وهذا الجاحظ يذكر أثر السماع الصحيح، وأهميته في الفصاحة وتكوين المَلَكَة، فيقول[1]: «**ليس في الأرض كلامٌ هو أمتعُ ولا آنَقُ، ولا ألذُّ في الأسماع، ولا أشدُّ اتصالاً بالعقول السليمة، ولا أفتقُ لِلّسانِ، ولا أجودُ تقويمًا للبيان، من طول استماعِ حديث الأعراب العقلاء الفصحاء، والعلماء البلغاء**».

ويقول ابن فارس في كيفية حصول الصغير على ملكة اللغة: (**تؤخذ اللغة اعتيادًا كالصبي العربي يسمع أبويه وغيرهما، فهو يأخذ اللغة عنهم على مر الأوقات، وتؤخذ تلقنًا من ملقن، وتؤخذ سماعًا من الرواة الثقات ذوي الصدق والأمانة، ويُتَّقى المظنون**).

وقد ورد في أحد تقريرات اليونسكو أن الإنسان يحصل على نسبة ٩٨٪ من معلوماته عن طريق السمع والبصر.

وفي إحدى الدراسات الإحصائية يقضي الطالب في الاستماع من وقته يوميًّا ٤٥٪ وبعض الإحصائيات ترفعها إلى ٥٢٪.

إذن تكمن الأهمية في أنَّ الاستماع هو أحد المهارات الأساسية لتحصيل العلوم والمعرفة، بل إنه لا يتم حسن الفهم، والإدراك للحقائق، والأشياء، والأفكار، والمسائل إلّا به، إن أحسنا استخدامه وأتقناه.

والنتيجة: الأثر الإيجابي إذا كان المسموع هو الصواب، والأثر السلبي إذا كان المسموع هو الخطأ.

---

(١) البيان والتبيين ١/ ٤٧.

obeikandl.com

أهداف الاستماع:

تتعدّد أهداف الاستماع وتتنوّع، ونستطيع إجمالها في الآتي:

- وسيلة للنمو اللغوي.
- وسيلة للفهم والإدراك والتعليم والتعلُّم.
- وسيلة للحفظ والتمكن.
- وسيلة للاتصال والتواصل وكسب العلاقات والاحترام.

وترتبط مهارة الاستماع بالآتي:

- القدرة على الفهم.
- القدرة على الانسجام والاهتمام والتفاعل.
- القدرة على التفسير والتحليل والتعليل.
- القدرة على التقويم والنقد.

وسائل الاستماع:

- القصد والنية، فلا بد أن يقصد المستمع قصدًا لموضوع السماع.
- الصحة النفسية والبدنية، حيث إن الاعتلال النفسي والبدني، والانشغال بحاجات النفس والبدن من الصوارف التي تصرف عن الاستماع، مما يؤدي إلى تشويش عملية الاستماع.
- حسن الهيئة، وقد ذكر ابن جماعة في تذكرة السامع والمتكلم: أنَّ على المستمع أن يكون كامل الهيئة، متطهر البدن والثياب، نظيفهما، وأن

obeikandl.com

يكـون قلبه فارغًا مـن الشواغل، وذهنه صافيًـا، لا في حال نعاس، ولا غضب، ولا جوع شديد، أو عطش أو نحو ذلك؛ لينشرح صدره لما يُقال، ويعي ما يسمعه.

كيف تُحقّق مهارة الاستماع؟:

تتحقَّـق مهـارة الاستماع مـن خلال أساليـب معرفية، وأدائيـة، واهتمامات وجدانية، ولكي ننجح في الوصول إلى هدف الاستماع الجيد علينا أن نقوم بالآتي:

- تعوُّد الاستماع، بحيث يصبح لنا عادة نألفها، ولا نتبرَّم منها.
- الضبـط والتحكم الجيدان في عملية الاستمـاع من خلال تدريب يقوم على اختبارات ذاتية، وتقويم أدائنا في كل مرة نستمع فيها.
- القدرة على المتابعة، وعدم الانشغال عن المسموع، والصبر والتحمل.
- القصد إلى الاستفادة والفهم أولاً.
- التمييز بين ما نعرفه وما لا نعرفه فيما نسمع.
- تحديد ما نستطيع عدم فهمه للسؤال عنه.
- تدريـب الحس النقـدي بالسماع، بالوقوف عند النقـاط التي قد يكون لنا فيها رأي.
- التمييز بين الحقائق المثبتة، والنظريات، وبين الموضوعي والعاطفي.

وأخـيرًا فتحقُّـق هـذه المهـارة مـن خـلال وسائل أخـرى معينـة ترتبط، بالسامـع، والمُسمِع، والمسموع، والمكان، والحـال، وكلما توافرت الوسائل الكفيلة بضمان سماع جيد: كالرغبة في السماع، والإقبال على الموضوع المسموع، ووضوح الأهداف، والمُسمع الفطن، الواعي، الصادق، المقبول، والمراعي لموضوعه ولحالة السامعين، يؤدي ذلك إلى تحقيق الاستماع ونجاحه.

السمع نوعان:

إذا كان جميع من يسمعون بآذانهم يشتركون في هذه العملية الظاهرة، فإنهم لا يشتركون جميعًا في عملية من السمع لا تبدو على السطح، (فمن وراء السمع الظاهر والإبصار الظاهر سمع آخر وإبصار آخر، يسمع به المؤمنون، ويبصر به الموقنون، ومن عداهم لا يسمعون ولا يبصرون، قد عطَّلوا ما وهبهم الله من أدوات الفهم والتدبُّر[1]) وما ورد في القرآن الكريم، يثبت لهؤلاء آذانًا وقلوبًا وعيونًا، فلم تغنِ عنهم شيئًا، ولم تفدهم الفائدة المرجوَّة، فقال تعالى ينعى عليهم ذلك: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ الأعراف.

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٢٦﴾﴾ الأحقاف.

والمتأمل للتركيز على آيات السمع في القرآن الكريم يصيبه العجب من ورود السمع وأدواته ومشتقاته أكثر من ١٨٥ مرة.

نصوص في الاستماع:

نصائح وتوجيهات لطيفة:

يروى عن أبي الدرداء قوله[2]: **(أنصف أذنك من فمك، فإنما جُعلَ لك أُذنان وفمٌ واحدٌ؛ لتسمع أكثر ممّا تتكلم).**

---

(١) الإعجاز العلمي في آيات السمع والبصر في القرآن الكريم: ص٨.

(٢) الحيوان ١٧/١.

وفي ذلك يقول الشاعر[1]:

لا تخلعنَّ عن اللسان لجامهُ وتَوَقَّ فرطَ جِماحِهِ المعتادا
وعن اثنتينِ منَ الكلامِ فلا تُجِبْ إلاّ بموجزةٍ تكـونُ أُحـادا
فاللهُ خصَّ الاسـتماعَ بآلـةٍ مثْنى وجارحةَ المقال فُرادى

قال سالم بن وابصة[2]:

أُحبُّ الفتى ينفي الفواحشَ سمعهُ كأنَّ بـه عـن كلِّ فاحشـةٍ وقرا
سليم دواعي الصَّدر لا باسطًا يدًا ولا مانعًا خيرًا ولا قائلاً هُجرا

قال أحد الحكماء لابنه[3]: يا بني، تعلَّم حسن الاستماع، كما تعلَّم حسن الكلام، فإنَّ حسن الاستماع إمهالك المتكلم، حتى يُفضي إليك بحديثه، والإقبال بالوجه والنظر، وترك المشاركة في حديث أنت تعرفه.

وقال آخر[4]: تعلَّم الصمت، كما تتعلم الكلام، فإن كان الكلام يهديك فإنَّ الصمت يقيك، ولك في الصمت خصلتان: خصلة تأخذ بها مِن علم مَن هو أعلم منك، وخصلة تدفع بها جهل من هو أجهل منك.

السماع والكتابة:

فالإنسان لا يعلمُ حتى يكثُر سماعُه، ولا بُدَّ من أن تكون كتبُه أكثرَ من سَمَاعِه.

أمثال عن السماع وردت في مجمع الأمثال، منها[5]:

(١) المصدر نفسه ١/١٧.
(٢) المصدر نفسه ١/١٧.
(٣) المصدر نفسه ١/١٧.
(٤) المصدر السابق ١/١٧.
(٥) انظر مجمع الأمثال للميداني ١/١٧٤.

- أصاخ إصاخة المنده للناشد.

الإصاخة، السكوت. والناشد الذي ينشد الشيء. والناده، الزاجر. والمنده، الكثير النده، أي الزجر للإبل. يضرب لمن جد في الطلب، ثم عجز فأمسك.

- أطرق إطراق الشجاع.

يعني الحية. يضرب للمفكر الداهي في الأمور. قال المتلمس:

وأطرقُ إطراقَ الشجاعِ ولو أَرى مساغًا لنابيه الشُّجاعِ لصمَّما

- أطرق كرا إنَّ النعامة في القرى.

يقال: الكرا الكروان نفسه. ويقال: إنه مرخم الكروان، وجمع الكروان كروان يضرب للذي ليس عنده غَناء ويتكلم، فيقال له: اسكت وتوق انتشار ما تلفظ به كراهة ما يتعقبه. وقولهم: إن النعامة في القرى، أي تأتيك فتدوسك بأخفافها.

- بأذن السماع سميت.

يضرب للرجل يذكر الجود ثم يفعله. وتقدير الكلام، بسماع إذن شأنها السماع سميت بكذا وكذا. أي إنما سميت جوادًا بما تسمع من ذكر الجود وتفعله. وهذا كقولهم: إنما سميت هانئًا لتهنئ، وأضاف الأذن إلى السماع؛ لملازمتها أياه. والتسمية تكون بمعنى الذكر. كما قال: وسمها أحسن أسمائها. أي واذكرها بأحسن أسمائها. ومعنى المثل: بما سمع من جودك ذكرت وشكرت، يحثه على الجود. قال الأموي: معناه أن فعلك يصدق ما سمعته الأذنان من قولك.

- ربَّ كلمة لبست عليها أذني؛ مخافة أن أقرع لها سني.

عبارات قيلت في الأذن:

الصَّمع: صغرها.

السَّكك: كونها في نهاية الصِّغر.

القنف: استرخاؤهما وإقبالهما إلى الوجه.

الخطل: غلظهما.

في ترتيب الصَّمم يقال:

بأذنه وقرٌ.

فإذا زاد، فهو صممٌ.

فإذا زاد، فهو طرشٌ.

فإذا زاد حتَّى لا يسمع الرعد، فهو صلخٌ.

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الثاني

مهـــارة القـــــراءة

قـال الله تبارك وتعـالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣﴾ العلق.

قـال رسـول الله ﷺ: «**اسـتقرئُوا القرآن من أربعـة: من عبدالله بن مسـعود، وسالم مولى أبي حذيفة، وأُبَيٍّ بن كعب، ومعاذ بن جبل**».

١- أهميتها.

٢- غاياتها وأهدافها.

٣- وسائل اكتسابها.

٤- أنواعها.

٥- تنميتها.

٦- نماذج على القراءة.

(١) صحيح البخاري باب ١٤ ج٤ص٢٢٨.

obeikandl.com

obeikandl.com

١- أهميتها:

﴿اَقْرَأْ﴾ أول كلمة نزلت من السماء لتعانق الأرض في بدء رسالة الإسلام ونزول الوحي بالقرآن الكريم على قلب الرسول ﷺ.

قطرات الندى من غيث ﴿اَقْرَأْ﴾ نزلت لتسلك في قلب رسول الله ﷺ ومن قلبه إلى قلوب أمته ينابيع وأنهارًا تتفجر؛ لتزهو حضارة أمة اقرأ.

فأول كلمة تزهو الأرض بحروفها النورانية لتعمها بنورها وخيرها، كانت كلمة ﴿اَقْرَأْ﴾.

إنَّ فعل الأمر ﴿اَقْرَأْ﴾ هذا من الله ﷻ إلى نبيه ﷺ في أول اتصال بين السماء والأرض لبدء الرسالة السماوية الخاتمة؛ لتكون أول كلمة في أول سورة تنزل في الكتاب المحفوظ لدليل واضح على أننا مأمورون أمر إيجاب بفعل القراءة الذي هو أمر عام لم تُخصّ به فئة دون فئة، أو طائفة دون أخرى.

وإن تكرار هذا الأمر في قوله تعالى: ﴿اَقْرَأْ﴾ ليؤكد لزومه، ووجوب التزامه، لا يعفى منه أحد، وإن اقترانه باسم الله تبارك وتعالى ليدل على أنَّ فعل القراءة في نيته وقصده، وتوجهه والهدف منه مرتبط بالله العلي القدير، وهذا الارتباط يؤكد على سمو القراءة، ورفعة درجتها، وعلو مكانتها، وعظيم فائدتها وأهميتها، ولولا ذلك ما كان هذا الربط.

والمتدبر لمعاني سورة (العلق) وألفاظها يلحظ من ترتيب الألفاظ للتوجيه الإلهي الكريم بالأمر بالقراءة عدة أمور، منها:

١- عمومية فعل الأمر ﴿اَقْرَأْ﴾ فالقراءة للجميع.

٢- ربط القراءة بالأهداف السامية، والغايات الجليلة، بحيث تكون للنفع في الدنيا والآخرة.

٣- التوجيه للعلم، فالقراءة مرتبطة بالبحث، حيث البدء بخلق الإنسان.

٤- إفادة أن العلم من الله ﷻ الذي علمنا ما لم نعلم، فالفضل يعود لرب العزة تبارك وتعالى في تعليمه لنا.

٥- النهي عن الاغترار والطغيان للنتائج التي قد تحصل للمتعلم من حصول على المال والجاه، إذ العلم هو أساسها وطريقها، وليعد إلى بداية خلقه، وليرد كل ما حصَّله إلى خالقه ﷻ، فله الفضل في الأولى والآخرة، فهو المحمود بفضله، المشكور بمنه وعطائه.

وقد ورد الأمر بالقراءة وقراءة القرآن الكريم عددًا يدل على مكانة القراءة في الإسلام، من ذلك، قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾ المزمل.

فقراءة القرآن بأمر الله تعالى في كل حال، وعلى كل حال تبين أمورًا عدة: **أولها**: ربط المسلم بكتاب الله ﷻ ربطًا قرائيًا، فقراءة القرآن ليست مخصصةً للتعليم، أو إزجاء الوقت فقط، وإنمَّا هي عبادة، وهذه العبادة لها غاياتها التعبدية، ولها غاياتها التربوية من تهذيب الطباع، وتربية النفس، وغاياتها التعليمية من إقدار القارئ على امتلاك هذه المهارة؛ ليخوض في بحور قرائية أخرى، تنقله إلى ميادينها المختلفة.

ثانيها: صفات القراءة: قال تعالى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٤﴾﴾ المزمل. أي في أثناء ما ذكر من القيام أي اقرأه على تؤدة وتمهل وتبيين حروف: ﴿تَرْتِيلًا﴾ بليغًا، بحيث يتمكن السامع من عدها.

وأخرج العسكري في المواعظ عن علي كرم الله تعالى وجهه أن رسول الله ﷺ سئل عن هذه الآية فقال: «**بيِّنْهُ تبيينًا ولا تنْثُرْهُ نَثْرَ الدقل. ولا تهذُّه هذَّ الشعر، قفوا عند عجائبه، وحركوا به القلوب، ولا يكنْ همُّ أحدكم آخر السورة**».

﴿فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ﴾ أي فصلُّوا ما تيسر لكم من صلاة الليل، عبَّر عن الصلاة بالقراءة، كما عبَّر عنها بسائر أركانها، وقيل: الكلام على حقيقته من طلب قراءة القرآن بعينها، وفيه بعد عن مقتضى السياق، فالأمر في الموضعين للوجوب [1].

ولو رحنا نتملى السيرة النبوية العطرة، لوجدنا رسول الله ﷺ يرفع درجة القراءة على المال، ويجعلها إلزامية، فهو ﷺ أول من فرض إلزامية التعليم لا على المتعلم فقط، بل على المعلّم.

غايات هذه المهارة وأهدافها:

١ - القراءة باب العلم وبوّابُه، وطريقته ووسيلته الأساسية.

٢- اكتساب الخبرات، وتطوير الذات.

٣- صقل الشخصية، وتربيتها، وترسيخ القيم والفضائل لديها.

٤- إكساب القدرة على البحث، والتعمق في العلوم.

---

(١) تفسير الألوسي ٢١/٣٩١.

وسائل اكتساب مهارة القراءة:

١- الاختيار والانتقاء للكتب نوعًا وكمًّا، من حيث الميول والرغبات والوضوح والسهولة.
٢- التدرج في القراءة كمًّا ونوعًا.
٣- وضع خطة قرائية محدّدة.
٤- الإفادة من الأوقات الضائعة في: السفر، وفترات الانتظار، وقبل النوم.
٥- التدوين للنقاط الرئيسة على هامش الكتاب، أو وضع خطوط تحتها.
٦- الممارسة والتدريب المستمر على القراءة.

أنواع القراءة:

تقسَّم القراءة إلى عدة أنواع، ويرتبط هذا التقسيم بالمفهوم والأداء، والحاجة أو الغرض، والطريقة، فحسب الغرض منها أو الهدف المرجو تكون للمعرفة، أو للإجابة عن تساؤل، أو حلٍّ لمشكلة، أو للمتعة والتسلية والترفيه. وحسب الأداء، تكون جهرية أو سرية (صامتة).

ولعلي ألخص أنواع القراءة في الآتي:

أولًا: حسب الطريقة:

فقد تكون قراءةً ناقدة، أو متصفحة، أو ابتكارية.

- فالناقدة تتسم بالعمق والفهم والتدبر، وتتصف بالتحليل والمقارنة والاستنباط؛ للوصول للرأي النقدي.
- أما المتصفحة فهي تلك القراءة الحدرية السريعة التي تريد إحاطة عجلى بفكرة أو خبر. كقراءة مجلة، أو صحيفة، أو استعراض كتاب، أو غير ذلك من المتطلبات السريعة.

- وأمّـا الابتكاريـة فهـي تلك التي تتدبَّـر المعاني وتتملاّهـا؛ لتخرج بفكرة جديدة، أو مطورة، كقول الله تبارك وتعالى:

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ محمد.

ثانيًا: حسب الغرض أو الهدف، ويندرج ضمنها:

١- **القـراءة التعليميـة:** وهدفها الأسـاس بلوغ المعرفة القرائية من خلال معرفـة الحـروف ونطقها النطق السليـم في الألفاظ والتراكيـب، وفهم المعاني المعبِّـرة عنهـا، وهذه هـي قـراءة التأسيس التي تنطلـق منها أنـواع القراءات الأخرى المرتبطة بهذه الأنواع.

٢- **القراءة التخصصـية:** وهي قراءة التخصص الدقيق، وينبغي لقارئها أن يستوعب المعاني والرموز والمصطلحات الخاصة بتخصصه الدقيق، فالعلاقة بين القراءة وبين فهم العلوم علاقة طردية، وقد أرجعت إحدى الدراسات أسباب ضعـف الطلاب في المسائـل الرياضية اللفظيـة إلى عدم تمكنهم مـن القراءة الصحيحـة، وأبان بعض (المهتمين بتعليم الرياضيات إلى أنَّ القدرة على قراءة المسألـة وفهمهـا يعد من أهم العوائـق التي تعيق الطالب عنـد حلها، وتقلّل من تحصيلـه فيها... وقد أشارت إحدى الدراسـات إلى أن ٢٩٪ من طلاب المرحلة الابتدائيـة يعود ضعفهم في المسائل اللفظيـة إلى ضعفهم في القراءة، وأن ١٩٪ منهم إلى عدم قدرتهم على تفسير ما تمت قراءته[١].

وقـد أجمع العديد من الدارسـين والباحثين على تأثير معرفة اللغة، وفهم معانيها، وربط ذلك بالتمكن من مهارة القراءة.

---

(١) مهـارات وإستراتيجيـات القراءة المعينـة على فهم المسائـل اللفظية في مـادة الرياضيات، مجلة جامعة الملك سعود، لعام ١٤٢٣هـ ٢٠٠٣م، مجلد١٥، ص٥٢٥.

٣- **القراءة التثقيفية:** وتشمل كل مقروء عدا التخصص، كالكتب العامة في السياسة، والأدب، والعلوم الشرعية، وغيرها، من: الاجتماع، والتربية. وتحتاج هذه القراءة إلى مران، وممارسة، وتشجيع؛ لأنها من القراءات التي تصب في صقل الشخصية، وتهذيبها، وتزويدها بعديد من المفاهيم، والمعارف التي تساعد في إنماء القدرات ومهارات التوصيل.

وتعد القراءة الحرّة ضمن هذا النوع، والقراءة الحرة ميدان واسع، وفضاء لا نهائي، يُتنسَّمُ فيه هواء الاختيار والحرية النقي، وفيه ينبت شجر الإبداع والمعرفة الحقيقية.

والقراءة مخرج فعّال من مخرجات الأنشطة الحرة، وتأثيرها وفعاليتها تنجم عن حرية الاختيار والهواية والميول، مما يجعلها تغرس في طالبها هواية البحث، كما تتيح له فرصة الاعتماد على النفس، والثقة فيها من خلال إكسابه القدرة على التعليم الذاتي، كما ترفع حصيلته اللغوية التي من خلالها يكتسب وينمي مهاراته في الاتصال اللغوي.

٤- **القراءة البحثية:** وهي المعنية بالبحوث العلمية، وهي قراءة تحتاج إلى الدقة والتركيز، وتمتاز بالسرعة والحيوية، والقدرة على الاختصار والإيجاز، والوصول إلى الهدف من أقصر الطرق، فالحصول على المعلومة يجب ألا يتطلب وقتًا طويلًا في القراءة، مما يؤدي إلى الملل منها، والزهد فيها، ومن هنا فإنَّ هذه القراءة تحتاج إلى مهارات خاصة متعلقة بالنظر السريع والتقاط النص المطلوب.

ثانيًا: القراءة حسب الأداء:

ومن القراءة حسب الأداء، القراءة الجهرية أو السرية (الصامتة)، أوالقراءة الاستماعية، أو القراءة الإشارية كقراءة الصم.

- **القراءة الجهرية:** وهي القراءة التي تقوم بتحويل الحروف والألفاظ من رموز صامتة إلى أصوات منطوقة معبرة.

ويحتاج هذا النوع من القراءة كي يكون سليمًا إلى مجموعة ضوابط، هي:

- مراعاة إخراج الحروف من مخارجها الأصلية، والحروف تختلف باختلاف مقاطع الصوت، وهي تسعة وعشرون حرفًا، أوردها حسب:

- **مخارج الحروف**، وهي من أقصى الحلق، حتى نهاية الشفتين: (**الهمزة، والألف، والهاء، والعين، والحاء، والغين، والخاء، والقاف، والكاف، والضاد، والجيم، والشين، والياء، واللام، والراء، والنون، والطاء، والدال، والتاء، والصاد، والزاي، والسين، والظاء، والذال، والثاء، والفاء، والباء، والميم، والواو**) وبعضهم كأبي العباس محمد بن يزيد المبرد لا يعدّ الهمزة حرفًا، فتكون ثمانية وعشرين حرفًا.

- أمَّا ترتيبها الألفبائي فهو كالآتي: (**الألف، الباء، التاء، الثاء، الجيم، الحاء، الخاء، الدال، الذال، الراء، الزاي، السين، الشين، الصاد، الضاد، الطاء، الظاء، العين، الغين، الفاء، القاف، الكاف، اللام، الميم، النون، الهاء، الواو، الياء**).

- وهناك طريقة ثالثة لترتيب الحروف، وهي الطريقة الأبجدية، وترتيب الحروف فيها كالآتي: (أبجد هوّز حطي كلمن سعفص قرشت ثخذ ضظغ).

وناقش علماء اللغة الحروف المستحسنة في النطق والحروف التي لا تستحسن، وأبانوا عن مخارجها في جهاز النطق، وجعلوا لهذه الحروف ستة عشر مخرجًا: منها:

- ثلاثة في الحلق، أولها من أقصاه، ومنه تنطق حروف (الهمزة والألف والهاء).
- ووسط الحلق، ومنه مخرج (العين والحاء)، وفوق ذلك مع أول الفم مخرج (الغين والخاء).
- ومن أقصى اللسان مخرج (القاف) وأسفل ذلك وأدنى إلى مقدَّم الفم مخرج (الكاف).
- ومن وسط اللسان مخرج (الجيم والشين والياء).
- ومن أول حافة اللسان مخرج (اللام) ومن طرف اللسان مخرج (النون).
- ومن طرف اللسان وأصول الثنايا مخرج (الصاد والزاي والسين).
- وبين طرف اللسان وأطراف الثنايا مخرج (الظاء والثاء والذال).
- ومن باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا مخرج (الفاء).
- ومن بين الشفتين مخرج (الباء والميم والواو).

ومخارج الحروف، كما وردت عند آخرين من أصحاب اللغة، تقع ضمن أربعة عشر مخرجًا، نوردها بطريقة أكثر وضوحًا، هي:

- ثلاثة حروف شفوية (ب، م، و).
- حرف واحد شفوي أسناني (ف).
- ثلاثة حروف من بين الأسنان (ث، ذ، ظ).
- سبعة حروف أسنانية لثوية (ت،ط،د،ض،س،ز،ص).
- ثلاثة حروف لثوية (ل، ر، ن).
- ثلاثة حروف غارية (ش، ج، ي).
- ستة حروف حلقية (ك،غ،خ،ق،ع،ح).
- حرفان جوفيان (ا، هـ).

وهنـاك تقسيمـات أخـرى: كالمجهـور، والمهموس، والرخـو، والشديـد، والمنطبق، والمنفتح، وحروف الاستعلاء، وحروف الانخفاض.

وتنقسـم الحـروف أيضًـا إلى: الصحـة والاعتـلال، والزيـادة والأصل، والسكون والحركة [1].

ومعرفـة هذه المخارج، وضبط حركة خـروج الحرف منها يؤدي إلى ظهور الصوت السليم للحرف.

ثانيًا: ضبط الألفاظ، وهذا يحتاج إلى معرفة الحركات من فتحٍ، وضمٍّ، وكسـرٍ، وتنوينٍ، وسكـونٍ. وإذا لم يضبـط الشكل فيجب أن يكـون القارئ ملمًّا بقواعـد اللغة إلمامًا جيدًا، ودون ذلك فـإنَّ التشويش سيتطرق إلى المعاني، وإلى بنية الكلمة، وإلى المواقع الإعرابية التي يتم على ضوئها تمييز علاقات الألفاظ بعضها ببعض، حيث يُعرف الفعل من الفاعل، والفاعل من المفعول... إلخ.

معايير القراءة الجهرية:

إذا تحققـت السلامـة اللغويـة، والأداء الواضـح المعبِّر عـن المعاني، مع التوظيف الصوتي، فإنَّ القـراءة تستتمُّ معاييرها التي لخَّصها الدكتور محمود الناقة في الآتي:

١- تجنُّب القارئ التردُّدَ والتلكُّؤَ، كتبعيض الجملة وتجزيئها كلمة كلمة.

٢- تسلسل الصوت والنُّطق تسلسلاً طبيعيًّا.

٣- أن يكون النَّبرُ والتنغيم معبِّرًا عن المعنى الموجود في النص المقروء.

وفوائد الجهرية، تكمن في الآتي:

(١) انظر سر الفصاحة: ص ٣٠ – ٣١.

١- إطلاق جهاز النطق بالحروف من مخارجها الصحيحة.

٢- معرفة طبقات الصوت.

٣- إعطاء الكلام حقه من الوقف والتساؤل والتعجب وغير ذلك.

٤- تساعد على التوثق من الحفظ والمراجعة.

وأما سلبياتها، فتكمن في:

١- عدم القدرة على مواصلة القراءة مدة طويلة؛ للشعور بتعب جهاز النطق.

٢- عدم إمكانية القراءة الجهرية في كل مكان أو زمان، فوجودك مع مجموعة يقف حائلاً بينك وبينها؛ خوفًا من إزعاجهم، والتشويش عليهم.

القراءة السرية (الصامتة)

وهي: القراءة الذاتية التي تُتابعُ فيها العينان الحروفَ والألفاظَ والعباراتِ، دونَ إظهارٍ للصوت، وقد تتحرك الشفتان خلال القراءة حركة خافتة وغير مسموعة.

وللقراءة السرية جوانب إيجابية وسلبية أيضًا، **فمن إيجابياتها:**

١- إمكانية القراءة مدة طويلة من الزمن دون الإحساس بالإرهاق والتعب.

٢- إمكانية القراءة في أي مكان وزمان، حيث تتم بصمت، وبمعزل عن إزعاج الآخرين.

٣- مفيدة في قطع الأوقات الطويلة في أماكن الانتظار، والسفر، والسهر.

٤- اختصار زمن القراءة، فهي أسرع من القراءة الجهرية؛ لما يبذله القارئ في الجهرية من جهد، ومن وقفات للراحة والتقاط الأنفاس.

ومن سلبياتها:

١- عدم معرفة الأخطاء التي يقع فيها القارئ.

٢- قد يشوبها عدم التركيز.

٣- فائدتها محدودة بحدود قارئها، بعكس الجهرية التي تفيد المستمع.

القراءة للصم:

حركات الشفاه التي تحوَّلت إلى حركات بأصابع اليدين بوصفها لغة يتفاهم بها الصم إلى بعضهم البعض، ويفهمون عن غيرهم، ليست طريقة حديثة، وتعيدها كتب التراجم لشخصية إبداعية من شخصيات تراثنا الأدبي، فتذكر عبد الرحمن بن محمد بن عثمان الأسدي الأصم، والملقب بالأطروش الذي بلغ من ذكائه وفطنته أنّه كان باستطاعته أن ينظر إلى حركة الشفاه لمكلمه، فيفهم عنه ما يريد قوله، وكان يستطيع قراءة الكتابة في الهواء.

ذكر ابن الفرضي في معرض ثنائه عليه، قال: (وكان نحويًّا لغويًّا، فصيح اللسان، شاعرًا جزل الشعر مرسلاً بليغًا طويل القلم، وكان يُرمزُ إليه بالشفاه، فيفهم[١]).

ويؤكد هذا الأمر الزبيدي، ويعده (شاعرًا مجوِّدًا، وأكثر أشعاره على مذاهب العرب، وله أراجيز فصيحة، وكان أصم أصلخ، فإذا أحبَّ المرء إخباره كتب له في الهواء، أو رمز له بشفتيه، فيفهم ويكتفي بذلك[٢]).

القراءة من حيث الإفراد والجمع، فقد تكون القراءة فردية، أو جماعية.

---

(١) تاريخ علماء الأندلس: ص ٢٦٢.

(٢) طبقات النحويين: ص ٣٠٦.

وللقـراءة الفرديـة أهميـة كبـيرة، وبخاصة قـراءة البدايـات التعليمية، فالقـراءة الفرديـة التعليمية مهمة للقـارىء، إذ هي تبين عن أمـور تحتاج إلى تقويم في بداية الأمر، مثل:

١- العيوب الخِلقية في اللسان.

٢- العيوب الاجتماعية والبيئية في اللسان.

٣- الأخطاء النحوية.

٤- الأخطاء في حق الكلام.

أما القراءة الجماعية، فإيجابياتها تكمن في:

١- تشجيع القُرَّاء على القراءة، وبخاصة أولئك الذين يعانون من الخجل، أو بعض عيوب الصوت والنطق.

٢- التدريب على القراءة بمعزل عن التصويب.

وأما سلبياتها فتقع في:

١- عدم معرفة أخطاء القُرَّاء في: الصوت، واللسان، واللحن.

٢- عدم التأكد ممن يقرأ، أو لا يقرأ.

القراءة حسب الغرض:

وتكمن أنواعها في: قراءة التعلم، وقراءة البحث، وقراءة التثقيف، وقراءة الإمتاع.

فقراءة التعلم والفهم:

ترتبـط بشريحة واسعة من المجتمع هي شريحـة طلاب المدارس، وينضم إليها فئة متعلمي اللغات صغارًا وكبارًا.

obeikandi.com

أمّا قراءة البحث والتحصيل:

فهي تلك القراءة المرتبطة بطلبة الجامعات والمتخصصين علميًّا.

وقراءة التثقيف:

وهي القراءة الموسوعية التي لا ترتبط بعلم معين، أو تخصص محدد، وإنمَّا يسعى صاحبها من ورائها إلى تكوين حصيلة ثقافية تعينه في تخصصه، أو مكانته الاجتماعية والوظيفية، فالكاتب، والسياسي، والعالم الشرعي، والإعلامي وغيرهم يحتاجون إلى مثل هذه القراءة؛ لتوسيع مداركهم، وإظهار معرفتهم، ولذلك قال الجاحظ في تعريف الأدب: **(هو الأخذ من كل علم بطرف)**.

وقيل عن الخليفة العباسي المأمون إنه [1]: **(تكلم المأمون يومًا فأحسن، فقال يحيى بن أكثم: يا أمير المؤمنين، جعلني الله فداك ! إن خضنا في الطب فأنت جالينوس في معرفته، أو في النجم فأنت هرمس في حسابه، أو في الفقه فأنت علي بن أبي طالب رضي الله عنه، في علمه، وإن ذكر السخاء كنت حاتمًا في جوده، أو الصدق فأنت أبو ذر في صدق لهجته، أو الكرم فأنت كعب بن مامة في إيثاره على نفسه، أو الوفاء فأنت السموأل بن عاديا في وفائه)**.

وتأتي قراءة الإمتاع: للترويح عن النفس، وتزجية أوقات الفراغ، مثل قراءة القصص والروايات، والأخبار والحكايات والطرائف، وتشتدُّ الحاجة إليها في وقتنا الحاضر، نتيجة لضغوط العصر، من ظروف اقتصادية، وحروب دموية، ومشكلات اجتماعية، وتوفر التقنية الإلكترونية يسَّر هذا النوع من القراءة التي توفر عليك الجهد والوقت، فتستطيع الدخول إلى مواقع الترويح

---

(١) التذكرة الحمدونية ١/٤٤١.

والترفيه ونشراتها وكتبها ومجلاتها، وتعليقاتها، بكل يسر وسهولة، وفي كل وقت، وعلى أي حال.

تنمية مهارة القراءة:

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه[1]: **(اقرؤوا القرآن تُعرفوا به، واعملوا به تكونوا من أهله).**

الانحسار الثقافي الذي رافق التراجع الحضاري بسبب من آثار الاستعمار، تبعه انحسارٌ وتراجع قرائي آخر نتيجة ما أفرزته آلة العلم الحديث، من: فضائيات، وحاسبات، وشبكات اتصال.

ومن منطلق الإيمان بأنَّ أمة اقرأ معنية بالقراءة لأن الاهتمام بالقراءة وتنميتها والتشجيع عليها هي رسالة الإسلام، وللنهوض بالأدب والعلم والثقافة، فلا بدَّ من تفعيل دور القراءة في حياة الفرد والمجتمع، من خلال أمور عدة نذكر منها:

١- تشجيع حركة النشر، للمؤلفين والناشرين على السواء، ووضع حوافز وإعانات لهم.
٢- إيجاد أماكن للاطلاع والقراءة في: جميع الاستراحات، وأماكن الانتظار، والإدارات الحكومية، والمستشفيات، والمطارات، والحدائق العامة، والمتنزهات، والنوادي. وجعل القراءة متاحة للجميع في كل مكان وزمان.
٣- زيادة عدد المكتبات في الأحياء، والعناية بمكتبات المدارس.

---

(١) البيان والتبيين ٢/٧٠.

obeikandi.com

٤- وضع مسابقات في القراءة على مختلف مستويات القرَّاء، وعلى جميع الأصعدة.

٥- التوسع في إقامة معارض الكتب، والمهرجانات السنوية للكتاب: تأليفًا، ونشرًا، وقراءة.

٦- الاهتمام بمؤسسات التعليم الجامعي، وتنشيط حركة التأليف والترجمة والنشر لدى هذه المؤسسات.

٧- العمل على تخفيض أسعار الكتب، وجعلها في متناول الجميع، تيسيرًا للحصول عليها واقتنائها.

٨- تركيز وسائل الإعلام على ابتكار العديد من البرامج القرائية، وإقامة حملات إعلامية؛ للقضاء على الأمية.

٩- العناية بالطفل وتعويده القراءة من خلال تشجيع طباعة كتب الأطفال، ومجلاتهم.

نماذج على القراءة:

وصف القرآن الكريم للباقلاني[١]: (طبَّق الأرضَ أنوارُه، وجلَّل الآفاقَ ضياؤُه، ونفذَ في العالم حُكْمُه، وقُبِلَ في الدُّنيا رسمُه، وطمسَ ظلامَ الكفرِ بعدَ أنْ كانَ مضروبَ الرواق، ممدودَ الأطناب، مبسوطَ الباعِ مرفوعَ العمادِ،... فكان كما وصفه الله تعالى ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ (الشورى ٥٢).

وقال الجاحظ[٢]: (الكتاب نعم الذخر والعقدة، ونعم الجليس والقعدة، ونعم النشرة والنزهة، ونعم المشتغل والحرفة، ونعم الأنيس ساعة الوحدة، ونعم

(١) إعجاز القرآن، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف: ١٨٦.

(٢) الحيوان ١/١٧.

المعرفة ببلاد الغربة، ونعم القرين والدخيل، ونعم الوزير والنـزيل، الكتاب وعاء مليء علمًا، وظرفٌ حشي ظرفًا، إن شئت كان أعيا من باقل، وإن شئت كان أبلغ مـن سحبان وائل، وإن شئت ضحكت من نـوادره، وإن شئت بكيت من مواعظه، ومـن لك بواعظٍ مُلّهٍ،وبناسك فاتـك، وناطق أخرس، ومن لك بطبيب: أعرابيّ، ورومـيّ، وهنديّ، وفارسيّ، ويونانيّ، ونديم مولَّد، ووصيف ممتّع، ومن لك بشيء يجمـع الأول والآخر، والناقص والوافي، والشاهد والغائـب، والرفيع والوضيع، والغث والسمين، والشكل وخلافه، والجنس وضده، وبعد، فما رأيت بستانًا يحمل في ردن، وروضة تنقل في حجر، ينطق عن الموتى، ويترجم عن الأحياء غيره، ومن لك بمؤنس لا ينام إلا بنومك، ولا ينطق إلا بما تهوى، آمن من في الأرض، وأكتم للسـر من صاحب السـر، وأحفظ للوديعة من أرباب الوديعة، ولا أعلم جارًا أبر، ولا خليطًا أنصف، ولا رفيقًا أطوع، ولا معلمًا أخضع، ولا صاحبًا أظهر كفاية ولا عنايـة، ولا أقـل إملالاً وإبرامًا، ولا أبعد عن مراء، ولا أترك لشغب، ولا أزهد في جـدال، ولا أكـف عن قتال من كتاب، ولا أعم بيانًـا ولا أحسن مواتاة، ولا أعجل مكافـأة، ولا شجـرة أطول عمرًا، ولا أطيـب ثمرًا، ولا أقرب مجتنـىً، ولا أسرع إدراكًا، ولا أوجـد في كل إبـان من كتاب، ولا أعلم نتاجًـا في حداثة سنه، وقرب ميـلاده، ورخـص ثمنه، وإمكان وجـوده، يجمع من التدابـير العجيبة، والعلوم الغريبـة، ومن آثار العقول الصحيحة، ومحمـود الأذهان اللطيفة، ومن الحِكم الرفيعة، والمذاهب القديمة، والتجارب الحكيمة، والأخبار عن القرون الماضية، والبلاد المتراخية والسائرة، والأمم البائدة، ما يجمع من كتاب.

ولـولا الحكم المخطوطة، والكتب المدونـة، لبَطل أكثر العلم، ولغلب سلطان النسيـان سلطـان الذكر، ولما كان للناس مفزع إلى موضـع استذكار، ولو لم يتم

ذلـك لحرمنـا أكثر النفع، ومن لك لا يبتدئك في حال شغلك، ولا في أوقات عدم نشاطك، ولا يحوجك إلى التجمل والتذمم، ومن لك بزائر إن شئت جعلت زيارته غِبًّا، ووِرده خِمسًا، وإن شئت لزمك لزوم ظلك.

والكتـاب هـو الجليس الذي لا يطريـك، والصديق الـذي لا يقليك، والرفيق الـذي لا يملُّك، والمستميح الذي لا يؤذيك، والجار الـذي لا يستبطئك، والصاحب الذي لا يريد استخراج ما عندك بالملق، ولا يعاملك بالمكر، ولا يخدعك بالنفاق.

والكتـاب هو الذي إن نظـرت فيه أطال إمتاعك، وشحـذ طباعك، وبسط لسانك، وجـود بيانك، وفخّم ألفاظك، وعمّر صـدرك، وحباك تعظيم الأقوام، ومنحـك صداقة الملوك، يطيعك في الليل طاعتـه بالنهار، وفي السفر طاعته في الحضـر، وهو المعلم الـذي إن افتقرت إليه لم يحقّرك، وإن قطعت عنه المادة لم يقطـع عنك الفائـدة، وإن عزلت لم يدع طاعتك، وإن هبـت عليك ريح أعدائك لم ينقلـب عليـك، ومتى كنت متعلقًا به ومتصلاً منـه بأدنى حبل لم يضرك منه وحشة الوحدة إلى جليس السوء، وإن أمثل ما يقطع به الفُرّاغ نهارهم، وأصحاب الكفايـات ساعة ليلهم، نظرة في كتاب، لا يزال لهم فيه ازدياد أبدًا، في: تجربة وعقل، ومروءة، وصون عرض، وإصلاح دين ومال، ورب صنيعة وابتداء إنعام، ولـو لم يكـن من فضله عليـك، وإحسانه إليـك، إلا منعه لك مـن الجلوس على بابـك، ونظرك إلى المارة بـك، مع ما في ذلك من التعرض للحقوق التي تلزم، ومـن فضـول النظر، وملابسة صغـار الناس، ومن حضـور ألفاظهم الساقطة، ومعانيهـم الفاسدة، وأحوالهم الردية، وطرائقهـم المذمومة، وأفعالهم الخبيثة القبيحـة، لكان في ذلك السلامة ثم الغنيمة، وإحراز الأصل مع استفادة الفرع، ولـو لم يكـن في ذلك إلا أنه يشغلك عن سخف المنـى، وعن اعتياد الراحة، وعن اللعـب وكل ما أشبهه، لقد كان في ذلك على صاحبه أسبغ النعمة، وأعظم المنة،

وهو الذي يزيد في العقل، ويشحذه، ويداويه، ويهذبه، وينفي الخبث عنه، ويفيد العلم، ويصادق بينك وبين الحجة، ويقودك للأخذ بالثقة، ويُعمر الحال، ويكسب المال، وهو منبهة للمورث، وكنز عند الوارث، غير أنه كنز لا زكاة فيه، ولا حق للسلطان يخرج منه، هو كالضيعة التي لا تحتاج إلى سقي، ولا إسجال بإيغاز، ولا إلى شرط ولا أكار، وليس عليها عشر للسلطان ولا خراج، ولولا ما رسمت لنا الأوائل في كتبها، وخلدت من عجيب حكمها، ودونت من أنواع سيرها، حتى شاهدناها بها من غاب عنا، وفتحنا بها كل منغلق علينا، فجمعنا في قليلنا كثيرهم وأدركنا ما لم ندركه إلا بهم لقد كان بُخِس حظنا منه، وأكثر من كتبهم نفعًا وأشرف منها حظًا وأحسن موقعًا كتب الله ﷻ التي فيها الهدى والرحمة والإخبار عن كل عبرة وتعريف كل سيئة وحسنة، ومازالت كتب الله جل وعلا في الألواح والصحف والمصاحف، فقال جل ذكره: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾﴾ ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ﴿٣٧﴾﴾ النجم.

فذكر صحف موسى الموجودة وصحف إبراهيم البائدة، وقال تعالى: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾﴾ البقرة.

وقال ﷻ: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ﴿٣٨﴾﴾ الأنعام.

وقال تعالى: ﴿كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾﴾ الانفطار.

وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿١٠﴾﴾ الانشقاق.

وقال ﷻ: ﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾ الإسراء.

ولو لم تكن تكتب أعمالهم لكانت محفوظة، لا يدخل ذلك الحفظ نسيان، ولكنه تعالى جده، علم أن نسخه أوكد وأبلغ وأهيب في الصدور، فقال جل ذكره: ﴿هَٰذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾ الجاثية.

ولو شاء الله أن يجعل البشارات بالمرسلين على الألسنة، ولم يودعها الكتب لفعل، ولكنه تبارك وتعالى علم أن ذلك أتم وأبلغ وأكمل وأجمع.

وفي قول سليمان، عليه السلام قال تعالى: ﴿ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ النمل.

وقد كان عنده من يبلغ الرسالة على تمامها من عفريت وإنسي وغيرهما، فرأى الكتاب أبهى وأحسن، وأكرم وأفخم وأنبل من الرسالة، ولو شاء النبي، ﷺ، ألا يكتب إلى: قيصر، وكسرى، والنجاشي، والمقوقس، وإلى بني الجُلندي، وإلى العباهلة من حمير، وإلى هوذة، والملوك العظماء، والسادة النجباء، لفعل، ولوجد المبلغ المعصوم من الخطإ والزلل والتبدّل، ولكنه عليه السلام علم أن الكتاب أشبه بتلك الحالة، وأليق بتلك المراتب، وأبلغ في تعظيم ما حواه الكتاب، وحمله إن كثُر ورقه فليس مما يمل؛ لأنه وإن كان كتابًا واحدًا فإنه كتب كثيرة، فإن أراد قراءة الجميع لم يطل عليه الباب الأول، حتى يهجم على الثاني، ولا الثالث حتى يهجم على الرابع، فهو أبدًا مستفيد ومستطرف، وبعضه يكون حاثًّا لبعض، ولايزال نشاطه زائدًا متى خرج من أثر صار في خبر، حتى يخرج من خبر إلى شعر، ومن الشعر إلى النوادر، ومن النوادر إلى نتف وإلى مواعظ، حتى يفضي به إلى كل معرفة.

تعليق:

إنَّ هذه المقالة للجاحظ في الكتاب لتنبئ عن وعي تام بأهمية الكتاب، ومكانته، ورفعة شأنه، وعظيم فائدته، وبالغ أثره.

وقد استطاعت هذه المقالة الوصفية جمع كل رائق في أوصاف الكتاب، ووضع كل فائق في تصوّر أثره، وبيان خبره، فلم يترك الجاحظ صفة محببة، ووسيلة مقربة، إلا وأتى بها من أجل توجيه الهمم والغايات إلى اقتناء الكتاب

وقراءته، وصرف الوقت في مرافقته ومزاملته، وجعله الأساس الذي نبني عليه، والمصدر الذي نصدر عنه، والمرجع الذي نؤول إليه، بل البناء الذي يأوينا، والشجرة التي تفيء علينا بظلالها، وتُهدي لنا ثمارها.

ولعل أهم الصفات التي خلعها الجاحظ على الكتاب في هذه المقالة هي:

- الكتاب ذخر وكنز، وجليس صالح، ورفيق مؤنس، وصاحب في العسر واليسر، وحافظ للسر، ومعلم دائم.
- والكتاب وعاء علم حشي بكل مفيد ورائع وماتع.
- وفي الكتاب صفات إنسانية، فصفات: الواعظ، والناسك، والطبيب، والنديم، والوصيف هي صفاته.
- ويجمع خلال الطبيعة فهو بستان، وروضة، وحديقة، لا تحتاج لكلفة وتعهد، وشجرة طيبة أصلها ثابت، ومجتناها قريب.
- وهو ناطق عن الأحياء ومترجم عن الموتى.
- وهو موافق للقارئ في كل أحواله، ومطيع له على كل حال.
- وفي الكتاب كل التجارب، والحكم، والأخبار، والآثار، والمعرفة.
- وأخيرًا، فالكتاب منحة عظيمة، فيه من الفوائد ما لايحدّ، من: المتعة، وشحذ الطبع، وتقويم اللسان، وتجويد البيان، ورفعة الشأن، وزيادة العقل، وكسب المال، وحسن المآل.

obeikandl.com

الفصل الثالث

مهـارة التحـــدث

وفيـــه:

١- أهميتها ومكانتها.

٢- وسائل تنميتها.

٥- عناصرها.

٦- أغراضها.

٧- نصوص في مهارة التحدث:

قال الله تبارك وتعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ٢٣﴾ الزمر.

وقال رسول الله ﷺ: «إنَّ أحسنَ الحديثِ كتابُ اللهِ»[1].

(١) صحيح البخاري باب في الهدي الصالح رقم (٦٠٩٨)

obeikandl.com

obeikandl.com

مهارة التحدُّث:

لعل هـذه المهارة تعد مع مهارة القراءة جامع المهـارات وأساسها، فمنهما وعنهمـا ينبثـق باقـي المهـارات، فمهـارات: الحـوار، والإلقـاء، والمحاضـرة، والخطـاب، والندوة، والأحاديـث الإذاعية والمرئية كلها تخـرج من تحت عباءة مهارة التحدث.

وإذا كانـت اللغة هي التعبير عـن الأغراض، كما سبق في تعريف ابن جني لهـا، فـإنّ مهارة التحدث تُعنى بكل هـذه الأغراض، من: مشاعـر، وأحاسيس، وأفـكار، ومعتقـدات، وتنقلها إلى الآخر من خلال تعبـير راقٍ وأداءٍ سليم، وتُعدُّ هـذه المهارة من الوسائـل الأساسية في التعبـير، وذلك لسهولتهـا، ويُسرها في التوصيـل بـين الأفراد والجماعـات، ونحن نقوم بالعديد مـن أفعالنا من خلال هـذه المهارة، ويرى بعض الباحثين أن مـا يتجاوز ٩٣٪ من النشاط اللغوي الذي يُمارسه الناس هو نشاط شفوي.

أهميتها ومكانتها:

الحديث يتفاضل، فمنه ما يصل الغاية، ومنه ما ينحدر، حتى يصل الدرك الأسفـل، وتحسين الحديـث وتجميله أمـرٌ مطلوب، والله ﷻ، وصـف لنا كتابه الكـريم بأنه أفصح الـكلام، وأحسنه وأجمله وأبلغه،فقـال عزَّ من قائل: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ٢٣﴾ الزمر.

ومن الأبيات السائرة قول أحد الشعراء[1]:

لسانُ الفتى نصفٌ ونصفٌ فؤادُهُ فلمْ يبقَ إلاّ صورةُ اللحمِ والدَّمِ

فهذا الشاعر يقسم الإنسان مناصفة بين لسانه وعقله، أمّا اللحم والدم فيتساوى فيه الجميع. ولذلك فإن القدماء من: ساسة، وحكماء، وعلماء، وأدباء، ومربّين، اهتموا لهذه المهارة وبها، وجعلوها عنوانًا على مروءة الرجل، وبهاء منظره، وحسن مجلسه، فقال يونس بن حبيب: (**ليس لعَيي مروءة، ولا لمنقوص البيان بهاء، ولو حكَّ بيافوخه أعنان السماء**[1]) وجعلوا اللسان دليلاً كاشفًا عن طبيعة الشخصية، فقالوا: (**المرءُ مخبوءٌ تحتَ لسانه**[2]) وجعلوا الحسن والجمال للبيان، يقول أحد الشعراء[3]:

كفى بالمرء عيبًا أن تراه له وجهٌ وليسَ لهُ لسانُ

وما حُسْنُ الرّجالِ لهم بزينٍ إذا لم يُسعدِ الحسْنَ البيانُ

وسائل تنمية مهارة التحدث:

وسائل تنمية هذه المهارة متعددة ومتوافرة، وسهلة، فالطفل منذ بداية نطقه يبدأ يسمع الحديث من والديه، ومن نقطة البداية هذه، وإلى نقطة النهاية في حياته، وهو يُتحدَّثُ إليه ويَتحدَّثُ إلى غيره، ونستطيع أن نوجز هذه الوسائل في الآتي:

١- **التعلُّم:** بلا شك، فالتعلُّم هو الينبوع الذي يفيض علينا من مائه العميم، فهو ميدان يتدرّب فيه الطفل، ومن خلاله تَمْهُرُ ناطقته، وينطلق

---

(١)(١) البيان والتبيين ١/٧٧.

(٢) هذا القول منسوب إلى علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في نهج البلاغة ٦٩٤ وبهجة المجالس ١/٥٥.

(٣) عيون الأخبار ٢/١٦٩.

لسانُـه، وقد كان السلف يـرون أن تعلُّم اللغة من الدين، فمما جاءَ عن أُبي بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قوله: تعلّموا العربية كما تعلَّمونَ القرآن[1].

٢- **الحفـظ:** إذا كانـت الذاكـرة تزودنا بحاجاتنا، وتخـزن لنا المعلومات الضروريـة، فـإنّ الحفـظ مـادة التعلّـم، ووقـود الخواطـر، وفي رأي القدماء: (أنّ كلّ حافظ إمـام... فلما جاءت التربية الحديثة زهّدتنا في الحفظ، فأضرّت بنا إضرارًا شديدًا [2]).

٣- **التـزوّد بالمعارف** المختلفة من خلال القراءة المعمقة، وحضور الندوات، والمحاضرات، ومتابعة كل جديد في الساحات الثقافية.

٤- **التدريب** على التعبير التلقائي، والحوار البنّاء، والنقاش الجاد.

عيوب يجب تجنبها:

إنّ كل متعرض للحديث أيًّـا كان شكله يجب عليـه أن يتخلص ممّا يلحق الحديث من بعض العيوب والهنات مثل:

١- **الاسـتطراد في غـير موضعه** والإطالة المملة، والحشو والثرثرة في غـير طائل، قال الجاحـظ [3]: (**للكلام غاية، ولنشـاط السـامعين نهاية، وما فضل عن مقدار الاحتمال، ودعا إلى الاستثقال والملال فذلك الفاضل الهذَر**) ونحن نفرُّ من الملال، ونعوذ بالله من الهذر.

٢- **الإغراب** والتفاصح والتشدق والتكلّف؛ لأن أكثر أدواء الكلام من ذلك، وقـد ورد النهي عن الثرثرة، والتشـادق، والتفيهق، وكثرة السؤال، والكلام فيما لا طائل وراءه، والمطلوب هو الوضوح والتبيين، وسلاسة القول.

فدعـوا إلى حسن المنطـق، وحلاوة اللفـظ، وكرم المعنى، فقـال بعضهم:

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة ٦/١١٦ رقم ٢٩٩١٥.

(٢) الفنون الصغرى: ص ١٦٥.

(٣) البيان والتبيين ١/٢٥٤.

(أُنذركم حُسْنَ الألفاظ، وحلاوة مخارج الكلام، فإنّ المعنى إذا اكتسى لفظًا حسنًا، وأعاره البليغ مخرجًا سهلاً...، صار في قلبك أحلى، ولصدرك أملى، والمعاني إذا كُسيتْ الألفاظ الكريمة وأُلبست الأوصاف الرفيعة، تحوّلت في العيون عن مقادير صورها، وأربتْ على حقائق أقدارها).

٣- **التسرّع والعجلة** دون تروٍّ وتفكير، فالحديث الذي يخرج دون تأمّل ونظر قد يؤدي إلى الخطأ والخطل، ولذلك قيل[١]:

نار الروية نارٌ جدُّ منضجةٍ ... وفي البديهة نارٌ ذاتُ تلويح

فلا بدَّ للكاتب أو المتحدث من رَويَّةٍ وهدوء، وتثبُّتٍ وتنقيحٍ، وبذلك فإن على المتحدّث أنْ يُعْمِلَ عقلَهُ وفكرَهُ حتّى يمخُضَ أقوالَهُ، ولذلك كان منهج السابقين التروي وإعادة النظر، والتثبُّت.

٤- **الاعتداد والغرور بالرأي:** قال الشافعي: **(رأيي صواب يحتمل الخطأ، ورأيك خطأ يحتمل الصواب).**

فالرأي الذي تتخذه اليوم قد تغيره غدًا؛ نظرًا لظهور دلائل وشواهد، والفكرة التي تتبناها اليوم، قد تلفظها في الغد؛ لأنك لم تكن قد اطلعت على دليل جديد، أو شاهد أكيد، أو حقيقة ثابتة.

ومن الأمور التي تمنع الإنسان من إعادة النظر فيما يكتب، وعرضه على المختصين؛ ليروا رأيهم فيه، شدة إعجاب المرء بعمله، وقديمًا جاء في الأمثال قول الشاعر:

زَيَّنَهُ اللهُ في الفُؤادِ كما ... زُيِّنَ في عينِ والدٍ ولَدُه

---

(١) ديوان ابن الرومي ١/١١٣٣ والعمدة ١/٦٢.

ويقول أبو تمام[1]:

ويُسيءُ بالإحسانِ ظنًا لا كَمَنْ هو بابْنِه وبِشِعْرِهِ مَفْتونُ

فالافتتان بالعمل يُنَقِصُهُ، يقول الجاحظ[2]: **(ومن آفات صناعة الكلام أن يرى مَنْ أحْسَنَ بعضَها أَنَّهُ أَحْسَنَها كلَّها، وكلُّ مَنْ خاصَمَ فيها ظنَّ أَنَّهُ فوقَ مَنْ خاصَمَهُ، حتى يُرى المبتدئ أَنَّهُ كالمُنْتَهي، ويُخيَّلُ إلى الغبيِّ أَنَّهُ فوقَ الذَّكيِّ)**.

٥- **بذاءة اللسان:** البعد عن عوار الكلام، وتجنب قبيح الألفاظ من سباب وشتم، وتعرض لتنقص الآخرين والنيل منهم، هو أساس الحديث النافع، أما البذاءة والتلفظ بقبيح الألفاظ، وسلاطة اللسان كل ذلك يؤدي إلى نتيجة سلبية لدى الآخر الذي يستمع إلى حديثك، والله ﷻ يقول: ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾﴾ الحج.

وقد كان بعض الشعراء يرفض الهجاء، ويأبى أن يقوله، كما في قول الشاعر[3]:

وأغفرُ عوراءَ الكريمِ ادخاره وأعرضُ عن شتمِ اللئيمِ تكرُّما

ويقول آخر:

ولقد أمرُّ على اللئيم يسبُّني فمضيتُ ثمَّتَ قلتُ لا يعنينِي

---

(١) التذكرة الحمدونية ١/٣٣٧.

(٢) رسائل الجاحظ: ص ٢٤٦.

(٣) ديوان حاتم الطائي: ص ٥٦.

عناصر التحدُّث:

إذا كان لكل قول أسباب تسنده، وعناصر تدعمه وتقويه، فإنّ التحدُّث يحتاج إلى ما يلي:

١- **الحاجة:** وهي الدافع الرئيس للحديث، فقضاء حاجات معاشنا، وحياتنا يدفعنا للحديث. فحاجتك إلى التعلم، أو السؤال عن شيء، أو الوظيفة، أو إيصال رسالة، دوافع للحديث.

٢- **موضوع الحديث:** لكل حديث موضوعه وفكرته التي يقوم عليها، فهناك فرقٌ بين خطبة تُلقى في جمهور حاشد، أو محاضرة في حضور متخصّص، أو حديث جانبي لدعوة، أو سؤال عن الأهل والحال والأولاد والوظيفة، والجو والسياسة والأدب، وغير ذلك.

٣- **الأسلوب:** يتوقف البناء الأسلوبي للحديث على موضوعه وشكله، فهناك فرق بين أسلوب الإلقاء أو الحوار أو الجدل، أو في طلب حق، أو الدفاع عن متهم، أو الهجوم على باطل، فالألفاظ والمعاني يجب أن تتوافق مع الفكرة المطروحة للنقاش، وقد جعل الجاحظ أسلوب الحديث طبقات.. وعقد الجاحظ بابًا في أنّ قول كل إنسان على قدْر خُلُقه وطبعه[1].

٤- **طبقات الصوت:** لا نشعر، ونحن نتحدّث بتغيّر طبقات صوتنا، فنجد الحدّة والشدّة التي تنتاب أصواتنا في حالة الغضب، واللين والرقة في حالة الرضا، كما أنّ الضغط على الحروف، وإخراج الألفاظ من مخارج فيها ترقيقٌ أو تفخيمٌ يُنبئ بنوعية الحديث المثار، ونستطيع أن نستشفّ طبيعة الحديث من خلال استماعنا للأداء الصوتي، فالهمس يُنبئ عن حديث ذي طبيعة

(١) البيان والتبيين ٢/ ١٧٥.

سريـة، والحديـث المصحوب بالابتسـام والقهقهة يدل على الطرافـة، أمّا تلك النـبرات الآمرة أو الناهية، فموضـوع الحديث يدل على أنه من الأعلى للأدنى، والاستعطاف والرجاء يُعطي انطباعًا بأنّ الحديث من الأدنى للأعلى.

والتدريـب على الصـوت وتحسينه وتجويـده وضبطه ضـرورة، كالتدريب علـى القـراءة والكتابة، يقول الجاحـظ: (**وكانوا يُـروّون صـبيانهم الأرجاز، ويُعلّمونهـم المناقلات، ويأمرونهم برفع الصـوت، وتحقيق الإعراب؛ لأنّ ذلك يفتـق اللهـاة، ويفتـح الجرم. واللسـان إذا أكـثرت تقليبـه رقّ ولان، وإذا أقللتَ تقليبه، وأطلتَ إسكاتهُ جسأ وغلُظ**[1]).

أغراض التحدُّث:

للتحدّث ـ كونه وسيلة التعامل الأساسية ـ أغراض عديدة، نوجزها فيما يلي:

- **القـدرة علـى التعامل مع الآخرين**، فالإنسـان في تعامله اليومي يحتاج لهذه المهارة حاجته إلى طعامه وشرابه.
- **الأداء الوظيفـي**، فالقـدرة علـى التحدّث قـد تكونُ شرطًـا من شروط القبـول الوظيفـي، فكثير مـن الوظائف يرتبـط بالقدرة علـى الإقناع، مثـل: المعلمين، و موظفـي المتاجر، ومندوبي الشـركات، ورجال الإعلام والاستعـلام، وممن تقـوم وظائفهم على مقابلة النـاس، مثل: الأطباء، والمحامين، والسماسرة... إلخ.
- **الدعوة إلى فكرة أو منهج**، أو اتجاه، وأصحابها من أكثر الناس اهتمامًا بالحصـول على هـذه المهـارة؛ لأنها تجعلهـم قادرين علـى التعبير عن أفكارهـم بطلاقـة وحيوية، وإبـراز مناهجهم في صـورة لائقة، وتقديم اتجاهاتهم في ثوبٍ أخّاذ من القبول والإقناع.

---

(١) البيان والتبيين ١ / ٢٧٢ .

- **تكوين الشخصية:** السعي إلى تملّك هذه المهارة، والرغبة في إتقانها، كونها أساسًا في تكوين الشخصية، وتكميلها وتجميلها.

نصوص في مهارة التحدث:

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (**رحم الله امرءًا أصلح لسانه** [1]) وقال ابن سيرين: (**ما رأيتُ على رجل أحسن من فصاحة** [2]) وقال عبد الملك بن مروان لبنيه: (**اطلبوا الأدب، فإن استغنيتم به كان لكم جمالاً، وإنْ احتجتم إليه كان لكم مالاً**[3]) وقال شبيب بن شبة: (**اطلب الأدب فإنّه دليل على المروءة، وزيادة في العقل، وصاحب في الغربة، وصلةٌ في المجلس**[4]).

فصاحة القول:

قال الله عز وجل على لسان موسى عليه السلام: ﴿وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾﴾ القصص.

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم: (**إنَّ من البيان لسحرًا**[5]).

وقال صلى الله عليه وسلم من خطبة له: (**إنَّ أحسن الحديثِ كتابُ الله، قد أفلحَ من زيَّنَهُ اللهُ في قلبه، وأدخله في الإسلام بعد الكفر، واختاره على ما سواه من أحاديث الناس، إنَّهُ أحسنُ الحديثِ وأبلغهُ** [6]).

---

(١) بهجة المجالس ١ / ٦٤.

(٢) عيون الأخبار ٢ / ١٥٥.

(٣) بهجة المجالس ١/ ٦٥.

(٤) البيان والتبيين ١/ ٣٥٢.

(٥) سبق وروده وتوثيقه .

(٦) إعجاز القرآن للباقلاني: ص١٣٠.

ومن اللطائف في مهارة التحدث:

وقف رجل حسن الشارة، جميل الملبس، على أحد العلماء، فسأله فأخطأ ولحن.

فقال له العالم: **البس على قدر لسانك.**

القول السيئ:

نظـر بعضهم إلى رجـل يفحش في القول، فقال له [1]: **يا هـذا، إنمَّا تُملي على حافِظَيْكَ كتابًا إلى ربِّكَ، فانظرْ ماذا تقول.**

وجاء في نهاية الأرب[2]:

مما قيل في اللسان:

مـن محاسـنه: إذا كان الرجل: حادّ اللسان قادرًا على الكلام، فهو: ذرب اللسان، وفتيق اللسـان. فإذا كان جيِّده، فهو لسن. فإذا كان يضعه، حيث أراد، فهو ذليق. فإذا كان فصيحًا بيِّن اللهجة، فهو حُذاقيّ. فإذا كان مع حدّة اللسان بليغًـا، فهـو مسلاق. فإذا كان لا يعترض لسانه عُقـدة، ولا يتحيَّفُ بيانه عُجمة، فهو مصقع. فإذا كان المتكلم عن القوم، فهو مدّرهٌ.

فصل في عيوبه:

الرُّتَّة: حُبْسةٌ في لسان الرجل، وعجلة في كلامه.

اللُّكنة والحُكْلة: عقدة في اللسان وعُجْمة في البيان.

---

(١) نثر الدر ٧/ ١١٨.

(٢) ١/١٤٣.

الهتهتة بالتاء والثاء:حكاية التواء اللسان عند الكلام.

التَّعتعة بالتاء والثاء: حكايةُ صوت الألكن والعيّ.

اللُّثْغة: أن يصيِّر الراء لامًا من كلامه.

الفأْفأة: أن يتردّد في الفاء.

التَّمتمة: أن يتردد في التاء.

اللَّفف: أن يكون في اللسان ثقل وانعقاد.

اللَّيغ: ألا يُبيِّن الكلام.

اللَّجْلجة: أن يكون فيه عيّ وإدخال بعض كلامه في بعض.

الخنْخنة: أن يتكلم من لدن أنفه. ويقال: هي ألا يُبيِّن الرجل كلامه، فيخنخن في خياشيمه.

المقمقة: أن يتكلم من أقصى حلقه.

في ترتيب العيّ:

يقال: رجل عيِيٌّ، ثم حصر، ثم فهٌّ، ثم مفُحْمٌ، ثم لجلاجٌ، ثم أبْكمُ.

قال عليّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «المرء مخبوء تحت لسانه».

وقال شاعر:

وما المرء إلاَّ الأصغران: لسانه ومعقوله والجسم خلقٌ مصوَّرُ

وقال امرؤ القيس:

وذلك من نبأ جاءني وخُبِّرته عن أبي الأسْودِ

ولو عن نثا غيره جاءني وجرح اللسان كجرح اليدِ

obeikandl.com

النَّثا القبيح من الكلام.

وقال جرير:

لساني وسيفي: صارمان كلاهما! وللسيفُ أشوى وقعةً من لسانيا!

قوله أشوى إذا أخطأ المقتل.

وقال آخر:

وجرح السيف تدمله فيبرى وجرح الدّهر ما جرح اللسانُ!

حسن الحديث والنغمة:

فمن ذلك قول ذي الرمّة:

ولمّا تلاقينا، جرت من عيوننا دموعٌ كففنا غَرْبَهـا بالأصـابعِ

ونلنا سُقاطًا من حديثٍ كأنه جنى النَّحلِ ممزوجًا بماء الوقائعِ

وقال أيضًا:

وإنّا ليجرِي بيننا حينَ نلتقي حديثٌ له وشيٌ كوشي المطارفِ!

حديثٌ كوقع القطرِ في المحل يُشتفى به من جوىً في داخل القلب، لاطفِ

وقال ابن الروميّ:

ولقـد سـئمتُ مآربِـي فكـأنَّ طيِّبهـا خبيثْ

إلاَّ الحديث فإنَّـــهُ مثلُ اسمه أبدًا حديثْ

وقال بشّار:

وكـــأنَّ رجْـــعَ حـديـثِـهـا قطعُ الرياض كُسين زهرا

obeikandl.com

وكـــأنَّ تحـت لـسـانـهـا هـاروتَ يـنـفـثُ فـيـه سـحـرا
وتـخـالُ مـا اشـتـمـلـت عـلـيـ ـه ثـيـابـهـا: ذهـبًـا وعـطـرا

وقال البحتريّ:

فلمَّا التقينا والنَّقا موعدٌ لنا تعجَّبرائيالدُّرّحُسنَاولاقطه
فمنلؤلؤٍتجلوهعندابتسامها ومنلؤلؤعندالحديثتُساقطه!

وقال آخر:

ظللْنا نشاوي عند أمِّ محمدٍ بنومٍ،ولم نشرب شرابًاولا خمرا!
إذاصمتتعنَّا،صحونابصمتها وإن نطقت، هاجت لألبابنا سُكرا

وقال ابن الروميّ عفا الله عنه:

وحديثُها السِّحر الحلال، لو انَّه لم يجنِ قتل العاشق المتحرِّزِ
إن طال لم يملل، وإن هي أوجزتْ ودّ المحدِّثُ أنها لم تُوجزِ
شركُ القلوب، وفتنةٌ ما مثلها للمطمئنِّ، وعقْلةُ المستوفزِ

وقال القطاميّ:

فهنَّ ينْبذن من قولٍ يُصبن به مواقع الماء من ذي الغُلَّة الصادي

وقال عليّ بن عطية البلنسيّ:

كلَّمتني فخلْت دُرًّا نثيرًا وتأملت عقدها هل تناثر
فازدهاها جمالها، فأرتني عقد دُرٍّ من التبسُّم آخر!

وقال الوأواء الدّمشقيّ:

وحـديـثٍ كـأنَّـه أوبـةٌ مـن مـسـافـرِ
كـان أحـلـى مـن الـرُّقـا د لـدي طـرف سـاهـرِ

بـــتُ ألـــهـــو بـطـيـبـه ... في ريـــــاضٍ زواهـــــرِ
بـــين ســـــاقٍ وســـامـــر ... ومُـــغـــــنٍّ وزامـــــرِ

وقال الطائيّ:

مـــدَّتْ إلـيـك بـنـانـةً أُسـروعـا ... تشكو الـفـراق، ومُـقـلـةً ينبوعا
كـادت لـعـرفـان الـنَّوى ألفاظها ... مـن رقَّـة الشَّكوى تكون دموعا

وقال ابن المعتزّ:

وسـر أحـاديـثٍ عـذابٍ لـو انَّـها ... جنى النحل، لم تمْجُج حلاوتها النحلُ

ومما قيل في الأذن:

الصَّمع: صغرها.

السَّكك: كونها في نهاية الصِّغر.

القنف: استرخاؤهما وإقبالهما إلى الوجه.

الخطل: غلظهما.

في ترتيب الصَّمم يقال:

بأذنه وقرٌ.

فإذا زاد، فهو صممٌ.

فإذا زاد، فهو طرشٌ.

فإذا زاد حتَّى لا يسمع الرعد، فهو صلخٌ.

obeikandl.com

الفصل الرابع

مهـــارة الإلقـــاء

١- تعريف.

٢- ضوابطه وأنواعه.

٣- عوارضه وعوائقه.

٤- تدريب وتطبيق.

obeikandl.com

obeikandl.com

الإلقاء:

عِلمٌ وفنٌّ لهُ وقعُه وأهميَّتُهُ وأثره على النفوس، فقد يغيّر رأيًا، أو اتجاهًا، وقد يحيي همّةً،ويُعلي نخوةً، أو يرفع طموحًا، أو يدفعُ حماسةً، وله تأثيره في ذات المُلقي، من صقل لشخصيته، وتأكيد ثقته بنفسه.

وترتبط هذه المهارة بالصوت في طبقاته، وحُسن أدائه، واللسان في سلامة نُطقه، وخلوِّه من العيوب الخَلْقية.

وجـودة الإلقاء مرتبطة بالحكـم على قدرة صاحبهـا في التأثير، فكم من كلمة بليغة ضاع أثرها؛ لسوء إلقائها، وكم من قصيدة متوسطة ارتفع مقدارها بجودة إلقائها، ولذلك فإن كثيرًا من أصحاب البيان كانوا يحرصون على تجويد قدراتهـم ومهاراتهـم الإلقائية، بـل كان منهم من لا يتمتع بهـذه المهارة فيقوم بالإيعاز لمن يمتلكها؛ لينوب عنه، وأمثلة ذلك عديدة في الماضي والحاضر.

مراحل الإلقاء:

يمر الإلقاء في مراحل ثلاث هي:

١- **المرحلة التعليمية:** وهذه المرحلة لا تكتفي بتعلم اللغة، وسلامة اللسان فقط، بل يتعلم المُلقي إعطاء الكلام حقه من: التفخيم، والترقيق، وتلبّس معاني الكلمـات والعبارات، وإيماءاتها، والقدرة علـى تمثّل الحالات: كالفرح والحزن، والاستبشار، والعزة والفخر، والهدوء والاطمئنان، والانفعال وغير ذلك.

٢- **المرحلـة التدريبيـة:** التدريب على الإلقـاء بأشكاله المختلفة من: شعر وخطابة، وحوار مسرحي، يؤدي إلى تحسين الأداء الإلقائي، وكلما كان التدريب كافيًا وملمًّا بأصول الإلقاء كلما أدّى نتائجه وثماره المرجوّة.

٣- **المرحلة الأدائية:** وهي المرحلة الأخيرة التي يتحوَّل فيها المُلقي مِنْ مُتَلَقٍّ للإلقاء إلى صانع له، وماهر فيه، وعامل عليه.

ومن ظواهر الأداء وأساليبه:

- **التنغيم:** وهو ارتفاع الصوت وانخفاضه في أثناء إلقاء النص، لا بطريقة عشوائية، وإنَّما بمقدار الحاجة التي يتطلبها النص المُلقى، فتتابع الدرجات الصوتية على الكلمة أو الجملة الكاملة، فحدَّة النغمة، أو انخفاضها يتماشى مع حالة الجملة، وحالة النص، وحالة المُلقي، فالارتباط بين النغمة وهذه الحالات يبين عمّا يعبِّر عنه النص، وعن مشاعر المُلقي كذلك.

وإذا كان علماء الصوتيات قد اتفقوا على أنَّ صور التنغيم تتمثّل في خمس صور هي:

- **نغمة صاعدة:** وتصلح هذه النغمة القوية الواسعة للإلقاء الذي تصحبه الانفعالات والعواطف المثيرة، مثل: الخطب الحماسية في السياسة والوطنية، والدعوة للجهاد، أو تلك الخطب الغاضبة المعبرة عن آراء مغايرة، أو المحاضرات التي تُلقى في أعداد كبيرة.
- **نغمة هابطة:** وفيها ينخفض الصوت إلى درجة الهمس، ويكون ذلك في التعبير الهامس بين متحاورين يحرصان على ألا يتجاوز الكلام آذانهما، أو في حالات الإحباط واليأس، وبخاصة في الجمل المعبِّرة عن الحزن والبؤس.
- **نغمة صاعدة هابطة:** وتظهر في الجمل المشددة والمؤكدة، كالتشديد والتأكيد في حالتي: الإثبات والاستفهام، فالتشديد على كلمة بعينها يدل على ما يعني بها المتكلم، فردك على من أنكر أنه فعل فعلاً مشينًا،

فتقـول له مشددًا ومركزًا ومؤكـدًا على كلمة بعينها كأن تقول: (أنت مَنْ قام بالعمل) فعندما تضغط على حروف (أنت) فأنت تؤكد فعله وقيامه بهذا العمل.

- **نغمةٌ هابطة صـاعدة:** وهـو تضييق ما بين أعلى نغمة وأدناها، كعبارات التمني والترجّي، والأسف والتحسُّر، والعتاب.
- **نغمة ثابتة أو مسـتوية** أي ليست صاعدة أو هابطة، وتكون عند الإلقاء الطبيعـي البعيـد عـن المؤثـرات الأخـرى، مثـل العبـارات الشارحة أو الموضحـة، أو عبارات التسليم والاعتراف، وغير ذلك من العبارات التي تتسـم بالهدوء والبعد عـن الانفعال، وبخاصة عبـارات الحديث العلمي التي لا ترتبط بالعاطفة.

عوامل نجاح الإلقاء:

مـن عوامل نجـاح الملقي في إلقـاء نص مؤثـر في المتلقين عوامل **شكلية، ونفسية، وتدريبية**، ولعل أهم هذه العوامل يكمن في الآتي:

١- **المظهر اللائق** الذي يعين على قبول المتلقي، وهذا لا يعني أن الشكل هو الذي يؤكد النجاح، وإنما يسنده ويدعمه.

٢- **شروط فنية**، من: إتقان النص، وضبط ألفاظه، وحُسن تَمَثُّله، وتعرُّف معانيه.

٤- **التهيئة والتحضير:** فلا يعتد المُلقي بسجله الحافل بالإلقاء، فالماضي يمثل الخبرة، ولكنه قد يفشل أمام المستقبل، وأمام ما يستجد، ولذلك فالاستعداد للإلقاء دائمًا يجب أن يكون وكأنه الأول، فإذا كانت التهيئة والتحضـير مـن العوامـل المهمة لنجـاح المبتدئ، هي كذلـك في غاية الأهميـة للماهر في الإلقاء، فالاعتماد على السجل التاريخي، والسيرة

الذاتيــة في ميدان الإلقاء، بـل وفي أي ميدان تحتاج من صاحبها عدم الاستهانة بكل ما يستقبله في حياته من أقوال أو أعمال.

تجويد الإلقاء:

١- **مراعـاة الصـوت** للنصـ واعتداله، فـلا ينحرف للغلظـة الشديدة، أو الارتخـاء والضعف المشين، بل يكون قـادرًا على تنويع طبقات الصوت ومناسبته للأساليب والمعاني.

٢- **الصـحة الصـوتية**، فسلامة الصوت من الأمراض التي تعتريه تؤدي إلى نجاح الإلقاء.

٣- **إعطاء النص المُلقى حقه** من علامات الوقف، فلا يكون الإلقاء سريعًا متهـورًا، ولا بطيئًـا متلكئًـا، فعلامات الوقـف يجب احترامهـا تمامًا كإشارات المرور، فبعضها يقـف لها، وبعضها يتمهل قبل أن يجاوزها، وبعضهـا ينطلق لها، وهكذا في علامات الوقف، فالسكتة الخفيفة بعد المنـادى، أو القسـم، أو القول، أو عند جذب انتبـاه السامعين والتأثير فيهـم، أو عنـد شاهـد أو دليـل، ليترسخ في الأذهـان، أو لبيـان أمر وتأكيده.

obeikandi.com

الفصل الخامس

مهـــارة الحـــوار

قـال تعالـــى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ النحل.

وقال رسول الله ﷺ: «**أبغض الرجال إلى الله الألدُّ الخصيم**»[1].

١- أهداف الحوار.
٢- تعريف: (الحوار، الجدل، المناظرة).
٣- أصول الحوار.
٤- أهميته.
٦- آدابه.
٧- ضوابط الحوار.
٨- أقسام الحوار.
٩- الحال والموقف والمهارة.
١٠- نماذج حوارية من: (القرآن الكريم، والحديث الشريف، والشعر، والنثر).
١١- نموذج على المناظرات.
١٢- نصوص في مهارة الحوار.

(١) صحيح البخاري باب ١٥ ج٣ص٨٥.

obeikandl.com

obeikandl.com

أهداف الحوار:

للحوار أهداف عديدة، نذكر منها:

١- صقل الشخصية وتهذيبها.

٢- امتلاك القدرة على الحوار وإجادته.

٣- تحقيق النجاح والوصول إلى الغايات في القضايا موضوع الحوار.

تعريف الحوار:

الولوج إلى معنى الحوار يتطلب عبور المعجم اللغوي، والحوار من: (حور)، والحَوْر الرجوع عن الشيء وإلى الشيء، والمحاورة: المجاوبة، أي أنت تقول ويجيبك، وهو يقول وتجيبه، ولذلك قالوا: (لا يحير جوابًا) أي لا يرد جوابًا.

وجاء في لسان العرب[1]: (الحَوْرُ: الرجوع عن الشيء وإلى الشيء، حارَ إلى الشيء وعنه حَوْرًا ومَحارًا ومَحارَةً وحُؤُورًا: رجع عنه وإليه؛ وكلَّمته فما رَجَعَ إِلَيَّ حَوَارًا وحِوارًا ومُحاوَرَةً وحَوِيرًا ومُحورَة، بضم الحاء، بوزن مَشُورَة أَي جوابًا.

والفعل الرباعي (حاور) على وزن فاعل يأتي للمشاركة، فلا يتم هذا الفعل دون اشتراك طرفين، فلا نقول: (دارَسَ) إلا ويكون دارسان يشاركان بعضهما بعضًا في الدراسة، وكذلك (لاعَبَ، وقاوَمَ، وساوَمَ).

والحوار يحتاج إلى طرفين متحاورين، يحاور الواحد الآخر حول موضوع معين، أو قضية ما.

---

(١) مادة حور.

obeikandl.com

ولا يختلف المعنى الاصطلاحي عن المعنى اللغوي، فهو: مراجعة الكلام بين طرفين، والأخذ والرد فيما بينهما.

ولعل بعض المصطلحات القريبة من الحوار تدخل معه، وتتداخل فيه، وأحيانًا تصيبنا بالحيرة، فالحوار والجدل والمناظرة هل هي ثلاثة في واحد؟ أم أنّ كل مصطلح من هذه المصطلحات له ميزاته، وخصوصيته؟ ولعل في العرض السريع لهذه المصطلحات ما يوقفنا على مدى القرب أو البعد بينها، وما يمثله كل واحد منها.

الجدل:

جاء في لسان العرب[1]: (والجَدَل: اللَّدَدُ في الخُصومة والقدرةُ عليها، وقد جادله مجادلة وجِدالاً. ورجل جَدِل ومِجْدَل ومِجْدال: شديد الجَدَل. ويقال: جادَلْت الرجل فجَدَلته جَدْلاً أي غلبته. ورجل جَدِل إذا كان أقوى في الخِصام. وجادَله أي خاصمه مُجادلة وجِدالاً، والاسم الجَدَل، وهو شدَّة الخصومة.

وفرّقوا بين: الحوار، والجدل، والمناظرة، وجعلوا لكل واحد من هذه المصطلحات ميزات، في: الأسلوب، والعرض، والنتيجة، والخصم، أو الطرف الآخر، ولا نستبق الأمور؛ لأن العرض التعريفي، والتوضيح للآراء يوصلنا إلى مواطن التلاقي والاختلاف.

وتعريف الجدل من: شدة فتل الحبل، وكأنك تجدله أي تفتله فتلاً محكمًا، وفي كتاب التعريفات للجرجاني يرى أن الجدل هو[2].

---

(١) مادة جدل.

(٢) التعريفات مادة نظر.

(دفع المرء خصمه عن إفساد قوله بحجة أو شبهة أو يقصد به تصحيح كلامه، وهو الخصومة في الحقيقة). وقد ورد في كتاب الله عزّ وجلّ قوله تعالى ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ۝١﴾ المجادلة.

المناظرة:

وقريب من المجادلة المناظرة، وهي تعني عند الجرجاني[1]: **(النظر بالبصيرة من الجانبين، في النسبة بين الشيئين إظهارًا للصواب)**.

أصول الحوار:

إذا كان الحوار هو الوسيط الذي يقوم بتبليغ طرفيه المتحاورين رغباتهما، ومواقفهما، وحالاتهما النفسية، فإنَّهُ يُعدُّ المعبرَ إلى الآخر، والمُعَبِّرَ عن طبيعة الشخصية، وإمكاناتها، وقدراتها، فهو الذي يجلو لنا الشخصيةَ، ويُجلِّي جوانبها المضمرةَ، ويُبدي عما استكنَّ بدواخلها، ويكشفُ عن أهدافها وأمانيها، ويحدِّد لنا آفاق آمالها وتطلعاتها، فهو الشارح والمعلِّلُ والمحلِّلُ للطبائع والعلاقات، والمبينُ عن الأهداف والأفكار والقدرات، ويبقى الحوار هو الجسرُ الذي نعبرُ عليه إلى الفكرة من النص، فالحديث المتبادل بين طرفي الحوار الذي يُدعى محاورة، هو: فنٌّ من فنون الكلام يضعُ فيه كل طرف كل إمكاناته وإبداعاته وملكاته؛ ليكون هو الفاعل وصاحب التأثير، والفائز في نهاية المحاورة.

جاء في كتاب الفقيه والمتفقه، الأصول سبعة[2]، وهي:

١- الحس، فالحواس خمس.

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) الفقيه والمتفقه ٢/٣٦- ٣٧.

٢- والعقل، والعقل على ضربين: (غرزي ومستجلب).

٣- معرفة الكتاب.

٤- والسنة.

٥- والإجماع.

٦- واللغة.

٧- والعبرة.

ونضيف إلى هذه الأصول:

٨- إتقان العلم والمعرفة بالموضوع أصل الحوار بالتحضير والتهيئة له، والاهتمام به.

٩- العلم بشبهات الخصم للرد عليها، ومعرفة طرائقه وأساليبه.

١٠- حفظ اللسان من إطلاق الكلام بما لا نعلم.

أهمية الحوار:

والحاجة إلى الحوار مع الآخر حاجة دائمة ملحّة؛ لأنها الأسلوب الأمثل لغايات التفاهم والتعبير عن الحاجات والمصالح، فجلب المصالح، ودرء المفاسد، والحصول على المكاسب بأنواعها المختلفة: معنوية أو مادية، والوصول إلى عقول الآخرين وقلوبهم، كل ذلك يتم عن طريق الحوار.

والحوار ينطلق بنا من أبسط صور الحياة إلى أكثرها تعقيدًا، فأنا أُحاور ابني الصغير؛ لأقنعه بتأجيل طلبه في شراء دراجة، ويحاورني ليقنعني في أن شراء دراجة له غاية الأهمية، وأنا أُحاور التاجر، ويحاورني من أجل أن أحصل على سلعة جيدة بسعر مُرْضٍ، وهو يحاول الحصول على ربح جيد. كما أُحاور

obeikandl.com

طلابي؛ لإقناعهم بأنّ الذكاء في أغلبه اكتسابي، وهم يحاولون إقناعي بأنه خِلْقي.

وأُحاور مخالفي في السياسة لأقنعه برأيي، وهو يحاورني ليقنعني برأيه، وهكذا في الدين والأخلاق والاجتماع...إلخ.

ومن هذا المنطلق، فإنّ من واجب كل محاور أن يستقر على قناعة بأنّ الاختلاف هو الأساس الذي نشأ عليه الناس، قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ الروم.

فالاختلاف في: اللون، والشكل، واللسان، والمعتقد، والرؤية، وفي: التفكير، والعادات، والتقاليد، والبيئة، هي الحقائق التي نراها ونشاهدها ونعايشها، فلا أفترض أنّ على الآخرين موافقتي تمامًا، وإلّا صببتُ عليهم جام غضبي، وشواظ ناري، قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ ﴾ يونس.

والمتتبع لهدف الحوار وغايته في القرآن الكريم يصل إلى حقيقة واحدة، وهي أن الدعوة إلى الحوار جاءت تهدف للوصول إلى الحق، ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ آل عمران.

والكلمة السواء هي كلمة التوحيد.

ولعل التوجيه الربّاني في قوله تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ

﴿ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾ البقرة. يبين لنا قاعدة مهمة في ميدان الحوار، وهي قاعدة الاختيار والحرية، فعليَّ أن أسعى وليس عليّ إدراك النجاح، فأنا وأنت نبذل قصارى جهدنا في الحوار والمناقشة ووضع الأمور في نصابها، ونحاول إزالة الفهم، وتوضيح الصورة، وندلل على الرأي، ونأتي بالشواهد والحجج، بناء على هذا المنهج الإلهي المؤسِّس لمدرسة الحوار الذي يعرض ولا يفرض، ويبين ولا يُجمجم، ويؤلِّف ولا ينفّر، ويقبل ولا يدبر، وفي النهاية ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾﴾ الكافرون.

آداب الحوار:

هل نضع في أدبيات حوارنا ونقاشاتنا ومجادلاتنا أن نخضع للحق، وأن نرضى به، وأن نجعل همَّنا وغايتنا الوصول إلى برِّه، والأُنس ببرِّه؟ أم نكابر ونعاند؟

إنَّ عشق الإنصاف، وتعلُّمَ الخضوع للحق أمران ليسا سهلين أو يسيرين على كثير منّا، ففيهما من الشدَّة والمجاهدة الشيء الكثير، قد يتقبَّلهما بعضنا، وقد يكونان فوق القدرة عند الآخرين.

وللحوار آداب يجب مراعاتها، ومن أهمها تلك التي نتحدّث عن:

- حسن الاستماع.
- عدم المقاطعة ورفع الصوت.
- الرفق والأناة.
- عدم التعجل في الحكم والقول.
- التدرج في الحوار.
- إقناع المحاور بالحجة والدليل.
- الوصول إلى الحق هو الغرض والغاية، والرجوع إلى الصواب لا يخجل.

obeikandl.com

ضوابط نجاح الحوار:

لعل من أهم وسائل النجاح في الحوار ضابطان:

الأول في المُحاوِر:

يجب أن تتمثل في المحاور تلك الصفات التي ذكرناها في آداب الحوار، ومن أهمها:

١- الاهتمام الجدي بالمحاور واحترامه وإنصافه.

٢- ذكره ونداؤه بأحب الأسماء إليه.

٣- الهدوء والاتزان وعدم رفع الصوت.

٤- عدم الاستئثار بالحديث.

٥- الاستعانة بالكلمة الطيبة والأسلوب الأمثل.

الثاني في الموضوع:

ومن أظهرها:

١- إظهار الجدية وعدم السخرية من الموضوع.

٢- الإخلاص في الوصول إلى الحق.

٣- تبيان الخطأ بطريقة موضوعية منهجية غير جارحة.

٤- طرح الأفكار بعيدًا عن المبالغات والتضخيم.

٥- التدرج في موضوع الحوار من المسلمات إلى المختلف فيها.

٦- عدم خلط الأفكار، واستتمام الفكرة والانتقال منها بعد تمام انتهائها إلى ما يليها.

obeikandi.com

التحضير للحوار:

من الأمور التي تعطي الحوار أهميته ونجاحه أنّ نحضِّرَ له تحضيرًا جيدًا، ومن ذلك:

١- اختيار الزمان والمكان المناسبين.

٢- اختيار موضوع الحوار ووضْع محَاوره.

٣- التدرج في نقاط الاختلاف على حسب درجة الاختلاف.

٤- إعطاء الفرص المتكافئة في الوقت للطرفين.

أقسام الحوار:

من الممكن تقسيم الحوار إلى: حوار خاص، وعام، فأما الخاص فيتضمن:

١- **حوار طلب العلم والمعرفة**، وهو ما يقع في قاعات الدرس للوصول إلى حقائق العلم وطرائقه وأساليبه.

٢- **حوار الصفوة**، من: علماء، ومفكرين، ونقاد، وأدباء، ورجال السياسة، والاقتصاد، والتربية، والاجتماع.

٣- **حوار الدعوة إلى تبني قضية**، أو الانضمام لاتجاه أو حزب، كحوار الدعاة وأصحاب المناهج والأفكار والاتجاهات.

وأما العام فمنه:

١- **حوار المصالح وتبادل المنافع**، وهو ما يجري في الحياة العامة من: بيع وشراء وطلب حاجات، ولقاء ووداع، واتفاق وخصام، وغير ذلك مما تتسع له الحياة في كل شؤونها وشجونها.

obeikandl.com

٢- **الحوار الوظيفي أو الأدائي:** وهو ما يتعلق بأداء عمل في طبيعته وتنظيمه ووضع الخطط له، ونتائجه، وهذا ما نجده في المؤسسات والشركات، والجهات الحكومية، مما له ارتباط بالوظيفة والمسؤولية عنها.

٣- **حوار الأجيال:** ويتم بين جيلين مختلفين كجيل الشباب والشيوخ حول بعض القضايا المتمثلة في الجديد والقديم، أو ما يمثله جيل الشيوخ من محافظة وتعقل وتجربة، وما يمثله جيل الشباب من حيوية واندفاع والبحث عن الجديد.

الحال والموقف في المهارة:

هل الإنسان في كل حالاته يواتيه البيان الواضح، والأسلوب الجيد؟ أم تعتريه حالات قد لا تدلُّ على فصاحته وبيانه، وجودة تعبيره؟

يقول أبو الفتح البستي:

إذا أحسستَ في لفظي فتورًا ... وحفظي والبلاغة والبيان

فلا ترتَبْ بفهمي إنَّ نُطْقي ... على مقدار إيقاعِ الزَّمان

وقيل: إنَّ الفضل بن الربيع أتى إلى أبي عياد في نكبته يسأل حاجة، أُرْتِجَ عليه. فقال له: بهذا البيان خدمْتَ خليفتين؟

فقال: إنَّا تعودنا أنْ نُسْأَل ولا نَسْأَل.

وقف جديٌّ على سطح يشتم ذئبًا على الأرض.

فقال له الذئبُ: لست الذي يشتمني، ولكن مكانك يفعلُ ذلك.

قال الربيع: كان الشافعي إذا ناظره إنسان في مسألة فغدا إلى غيرها يقول: نفرغ من هذه المسألة، ثم نصير إلى ما تريد، ويتلطف في دفع ذلك في مباديه قبل انتشاره وثوران النفوس. ويذكر الحاضرين بما جاء في كراهة المماراة، لا سيما بعد ظهور الحق، وأن مقصود الاجتماع ظهور الحق وصفاء القلوب،

وطلب الفائدة. وأنه لا يليق بأهل العلم تعاطي المنافسة والشحناء؛ لأنها سبب العداوة والبغضاء، بل يجب أن يكون الاجتماع ومقصوده خالصًا لله تعالى؛ ليثمر الفائدة في الدنيا والسعادة في الآخرة، ويتذكر قوله تعالى: ﴿لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَـٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾﴾ الأنفال. فإنه يفهم أن إرادة إبطال الحق أو تحقيق الباطل صفة إجرام، فليحذر منه.

تصدَّرَ للتَّدريسِ كلُّ مُهوَّسٍ ... جَهولٍ ليُسْمى بالفقيهِ المدرِّسِ
فحُقَّ لأهلِ العلمِ أنْ يَتَمثَّلوا ... ببيتٍ قديمٍ شاعَ في كلِّ مجلسِ
لقدْ هَزُلَتْ حتى بدا مِنْ هُزالها ... كُلاها وحتَّى سامَها كلُّ مفلسِ

بيان آفات المناظرة وما يتولد منها من مهلكات الأخلاق:

اعلم وتحقق أن المناظرة الموضوعة لقصد الغلبة والإفحام وإظهار الفضل والشرف والتشدق عند الناس وقصد المباهاة والمماراة واستمالة وجوه الناس هي منبع جميع الأخلاق المذمومة عند الله، المحمودة عند عدو الله إبليس.

ونسبتها إلى الفواحش الباطنة من: الكِبْرِ، والعُجْبِ، والحسدِ، والمنافسةِ، وتزكيةِ النفسِ، وحبِّ الجاه، وغيرها.

نماذج حوارية من:

١- القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَـٰبٍ وَحَفَفْنَـٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَـٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ ۚ فَقَالَ لِصَـٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَـٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى

لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾ ﴾ الكهف.

٢- من الحديث الشريف:

أوفدت قريش أبا الوليد عتبة بن ربيعة؛ ليعرض عليه هذه الأمور، فقام إليه عتبة، حتى جلس إلى رسول الله ﷺ، فقال:

يا ابن أخي، إنَّك منا حيث قد علمتَ من السلطة في العشيرة، والمكان في النسب، وإنَّك قد أتيتَ قومك بأمرٍ عظيم فرَّقت به جماعتهم، وسفهت به أحلامهم، وعِبتَ به آلهتهم ودينهم، وكفَّرتَ به منْ آبائهم، فاسمع مني أعرض عليكَ أمورًا تنظرُ فيها؛ لعلك تقبل منها بعضها.

قال: فقال رسول الله ﷺ: قلْ يا أبا الوليد، أَسمع.

قال: يا ابن أخي،إنْ كنتَ تُريدُ بما جئت به من هذا الأمر مالاً، جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإنْ كنتَ تُريد شرفًا سودناكَ علينا، حتى لا نقطعُ أمرًا دونك، وإنْ كنتَ تُريدُ به مُلْكًا مَلَّكناكَ علينا، وإنْ كان هذا الذي

يأتيـكَ رئيًا تراهُ لا تستطيع ردَّهُ عن نفسك طلبنا لك الطبَّ، وبذلنا فيه أموالنا، حتـى نُبرئكَ منهُ، فإنَّهُ ربمَّا غلب التابـع على الرجل حتى يُداوى منه.. حتى إذا فرغ عتبة، ورسول الله ﷺ يستمع منه، قال: أقدْ فرغتَ يا أبا الوليد؟

قال: نعم.

قال: فاسمع مني.

قال: أفعل.

فقال: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ.

﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٣ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ۝٤ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ۝٥﴾ فصلت.

ثمَّ مضى رسول الله ﷺ فيها يقرؤها عليه.

فلمـا سمعها منه عتبة أنصت لها، وألقى يديه خلف ظهره معتمدًا عليهما، يسمع منه.

ثـم انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة منها فسجد، ثم قال: قد سمعتَ يا أبا الوليد، ما سمعت، فأنتَ وذاك.

فقـام عتبة إلى أصحابه، فقال بعضهم لبعضـ: نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به، فلما جلس إليهم قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد؟

قال: ورائي إنيٍّ سمعتُ من محمد قولاً، والله، ما سمعتُ مثله قط! والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة.

يـا معشـر قريش، أطيعوني واجعلوهـا بي، وخلّوا بين هـذا الرجل وبين ما هـو فيه فاعتزلوه، فو الله ليكونـنَّ لقوله الذي سمعت منه نبأٌ عظيم، فإنْ تُصبه العـرب فقد كُفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فمُلْكُهُ مُلْكُكُم، وعزُّهُ عزُّكُم، وكنتم أسعد الناس به.

قالوا: سحرك والله يا أبا الوليد، بلسانه.

قال: هذا رأيي فيه، فاصنعوا ما بدا لكم[1]).

٣- من الشعر:

قال المجنون في حوارية لطيفة: [2]

وقـالـوا لـو تشـاءُ سـلوتَ عنها ... فـقـلـتُ لـهـم: فـإنّي لا أشـاءُ

وكـيـفَ وحبُّـهـا عَـلِـقٌ بقلبي ... كـمـا عَـلِـقَـتْ بـأرشـيـةٍ دِلاءُ

وقالوا: أينَ مسكنُها؟ وَمَنْ هي ... فقلتُ: الشمسُ مسكنها السماءُ

فقالوا: مَنْ رأيتَ أحبَّ شمسًا؟ ... فقلتُ: عليَّ قد نـزلَ القضاءُ

وقال جميل بن معمر في حوارية عذبة، تدور كثيرًا بين الأحباب والمتزوجين، حيث يتهم كل طرف الآخر بأنه قد كَبُرَ [3]:

بـثـيـنـة قـالـت وقـد راعـهـا ... تـفـاريـق مـن شـيـبـي المسـفـرِ:

جـمـيـلُ، كـبـرتَ وجـاءَ المشيبُ ... فـقـلـتُ: بُـثـيـنُ ألا أقـصـري

(١) السيرة النبوية لابن هشام ١/٢٩٤.

(٢) ديوان مجنون ليلى: ص ٤٢- ٤٣ .

(٣) ديوان جميل بن معمر: ص ٤٨ .

obeikandi.com

أتنسينَ أيامنا باللوى ... وأيامنا بذرى معمرِ
وإذْ لِمَّتي كجناحِ الغُداف ... تضمَّخُ بالمسكِ وبالعنبرِ
وأنتِ كلؤلؤةِ المرزبانِ ... بماءِ شبابكِ لم تُعصري
صغيرينِ مرتعنا واحدٌ ... فإنّي كبرتُ ولم تكبري

وقال وضَّاح اليمن [1]:

قالتْ: ألا تَلِجَنْ دارَنَا ... إنَّ أبانَا رجلٌ غائرُ
أما رأيتَ القصرَ مِن دوننا ... فقلتُ: إنيٌ فوقَهُ ظاهرُ
قالتْ: فإنَّ اللَّيثَ غادٍ به ... فقلتُ: سيفي صارمٌ باترُ
قالتْ: فإنَّ البحرَ قدَّامَنَا ... قلتُ: فإنِّي سابحٌ ماهرُ
قالتْ: أليسَ الله من فوقنا ... قلتُ: بلَى، وهو لَنَا غافرُ
قالتْ: فأمَّا حينَ أعييتنا ... فأْتِ إذا ما هجَعَ السَّامرُ
فاسقُطْ علينا كسُقوطِ النَّدَى ... ليلةَ لا ناهٍ ولا آمرُ

وقال صفي الدين الحلي:

قالت: كحلت الجفون بالوسن ... قلت: ارتقابًا لطيفك الحسنِ
قالت: تسليت بعد فرقتنا ... فقلت: عن مسكني وعن سكني
قالت: تشاغلت عن محبتنا ... قلت: بفرط البكاء والحزنِ
قالت: تناسيت قلت: عافيتي ... قالت: تسليت قلت: عن وطني
قالت: تخليت قلت: عن خلدي ... قالت: تغيرت قلت: في بدني
قالت: أذعت الأسرار قلت لها: ... صير سري هواك كالعلنِ
قالت: فماذا تروم؟ قلت لها: ... ساعة سعد بالوصل تسعدني

(١) حماسة الظرفاء ٢/١٠٠ .

قالت: فعين الرقيب ترصدنا قلت: فإني للعين لم أبنِ
أنحلتني بالصدود منك فلو ترصدتني المنون لم ترني

نماذج حوارية نثرية:

حوار بين معاوية وصحار العبدي[1]:

قال ابنُ الأعرابيّ: قال معاوية بن أبي سفيان لصُحارِ بن عَيّاش العبديّ:

ما هذه البلاغةُ التي فيكم؟

قال: شيء تَجِيش به صدورُنا فتَقذفُه على ألسنتنا.

فقال له رجل من عُرَض القَوم: يا أمير المؤمنين، هؤلاء بالبُسْر والرُّطَب، أبصرُ منهم بالخُطَب.

فقال له صُحار: أجَلْ واللهِ إنّا لنَعلم إنّ الرِّيح لَتُلْقِحُه، وإن البرَد ليَعقِدُه، وإن القمرَ ليَصْبِغُهُ، وإن الحَرّ ليُنْضِجهُ.

وقال له معاوية: ما تعدُّون البلاَغَةَ فيكم؟

قال: الإيجاز.

قال له معاويةُ: وما الإيجاز؟

قال صُحار: أن تُجيب فلا تبطئ، وتقولَ فلا تخطئ.

فقال له معاوية: أو كذلك تقول يا صُحَار؟

قال صُحار: أقِلْني يا أمير المؤمنين، ألا تُبْطِئ ولا تُخْطئ.

---

(١) المصدر نفسه ٢٨/١.

قال: وقال رجل من قريش لخالد بن صفوان: ما اسمك؟

قال: خالد بن صفوان بن الأهتم.

قال: إن اسمك لكذب ما أنت بخالد، وإن أباك لصفوان وهو حجر، وإن جدك لأهتم والصحيح خير من الأهتم.

فقال له خالد: من أي قريش أنت؟

قال: من بني عبد الدار من هاشم.

قال: لقد هشمتك هاشم، وأمتك أمية، وجمحت بك جمح، وخزمتك مخزوم، وأقصتك قصي فجعلتك عبدها وعبد دارها، تفتح إذا دخلوا، وتغلق إذا خرجوا.

قيل: ومرّ الفرزدق بالمربد، فرأى خلف بن خليفة الشاعر، فقال للفرزدق: يا أبا فراس، من القائل:

هو القين وابن القين لا قين مثله لقطع المساحي أو لقدّ الأداهم

فقال الفرزدق: الذي يقول:

هو اللص وابن اللص لا لص مثله لقطع جدارٍ أو لطرّ دراهم

وحكي عن جعفر الصادق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن غلامًا له وقف يصب الماء على يديه، فوقع الإبريق من يد الغلام في الطست، فطار الرشاش في وجهه، فنظر جعفر إليه نظر مغضب، فقال: يا مولاي، ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ﴾.

قال: قد كظمت غيظي.

قال: ﴿وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾.

قال: قد عفوت عنك.

قال: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

قال: اذهب، فأنت حر لوجه الله تعالى.

كان للمغيرة بن عبد الله الثّقفيّ - وهو والي الكُوفة - جَدْيٌ يوضع على مائدته، فَحَضره أعرابي فمد يَده إلى الجَدْي؟ وجَعل يُسرع فيه، قال له المُغيرة: إنّك لتَأكله بحَرّد كأن أُمَّه نَطحَتْك.

قال: وإنك لَمُشْفِق عليه كأن أُمه أَرْضعتك.

جاء في معجم الأمثال:

وقعت آجرة ولبنة في الماء، فقالت الآجرة: وابتلاه.

فقالت اللبنة: فماذا أقول أنا؟

نموذج على المناظرات:

مناظرة أبي بكر محمد بن أبي الطيب الباقلاني مع قيصر ملك الروم [1]:

المجلس الأول:

- ملك الروم: هذا الذي تدَّعونه في معجزات نبيكم: من انشقاق القمر، كيف هو عندكم؟

---

(١) إعجاز القرآن للباقلاني: ص ٢٩- ٣٢ وأبو بكر الباقلاني هو: محمد بن الطيب، ولد بالبصرة، ولم يعرف تاريخ ولادته على التحديد، تفقه وتعلم، وكان قوي الحجة، بارع المحاورة، سريع البديهة، رأس بعثة إلى ملك الروم، وكانت هذه المناظرة، تولى القضاء بالثغر، وشغل بالتدريس والتأليف، وله العديد من المؤلفات منها إعجاز القرآن، وتوفي عام ٤٠٣ هـ.

- الباقلاني: هـو صحيح عندنا، انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ حتى رأى الناس ذلك، وإنمَّا رآه الحضور، ومن اتفق نظره إليه في تلك الحال.
- ملك الروم: وكيف ولم يره جميع الناس؟!
- الباقلاني: لأن الناس لم يكونوا على أهبة ووعد لشقوقه وحضوره.
- ملـك الروم: وهذا القمر بينكم وبينـه نسبة وقرابة؟ لأي شيءٍ لم تعرفه الروم وغيرها من سائر الناس، وإنمَّا رأيتموه أنتم خاصة؟
- الباقـلاني: فهذه المائدة بينكم وبينها نسبة؟ وأنتم رأيتموها دون اليهود والمجوس والبراهمة وأهل الإلحاد، وخاصة يونان جيرانكم، فإنَّهم كلهم منكرون لهذا الشأن، وأنتم رأيتموها دون غيركم؟
- فتحيَّـر الملك، وقال بكلامه: سبحـان الله. وأمر بإحضار فلان القسيس ليكلمنـي، وقال: نحـن لا نطيقه؛ لأن صاحبه قال: مـا في مملكتي مثله، ولا للمسلمـين في عصـره مثله، فلم أشعر إذ جـاء برجل كالذئب، أشقر الشعـر، فقعد، وحُكيت عليه المسألة، فقال الـذي قاله المسلم لازم، وهو الحق، لا أعرف له جوابًا إلاّ ما ذكره.
- الباقـلاني: أتقول: إنَّ الخسوف إذا كان يراه جميع أهل الأرض؟ أم يراهُ أهل الإقليم الذي بمحاذاته؟
- القسيس: لا يراه إلاَّ من كان في محاذاته.
- الباقـلاني: فما أنكرت من انشقاق القمر إذا كان في ناحية ألا يراه أهل تلـك الناحية، ومـن تأهَّب للنَّظر لـه، فأمَّا من أعرض عنـه، أو كان في الأمكنة التي لا يرى القمر منها فلا يراه.
- القسيـس: كما قلت، لا يدفعك عنه دافـع، وإنمَّا الكلام في الرواة الذين نقلوه، فأمَّا الطعن في غير هذا الوجه فليس بصحيح.
- الملك: وكيف يُطعنُ في النَّقلة؟

- القسيس: شبه هذا من الآيات، إذا صحَّ وجب أن ينقله الجم الغفير حتى يتصل بنا العلم الضروري به، ولمَّا لم نعلم ذلك بالضرورة دلَّ على أنَّ الخبر مفتعل وباطل.
- الملك: يطلب الجواب من الباقلاني.
- الباقلاني: يلزمه في نزول المائدة ما يلزمني في انشقاق القمر، ويُقال لو كان نزول المائدة صحيحًا لوجب أن ينقله العدد الكثير، فلا يبقى يهودي ولا نصراني، ولا وثني إلاَّ ويعلم هذا بالضرورة، ولمَّا لم يعلموا ذلك بالضرورة دلَّ على أنَّ الخبر مكذوب.

فبُهِتَ الملك والقسيس ومن ضمَّه المجلس على هذا.

المجلس الثاني:

قال الباقلاني: ثمَّ سألني الملك في مجلس ثانٍ.

- الملك: ما تقولون في المسيح عيسى ابن مريم؟
- الباقلاني: روح الله وكلمته وعبده ونبيه ورسوله، كمثل آدم خلقه من تراب، ثمَّ قال له كن فيكون، وتلوت عليه النص.
- الملك: يا مسلم، تقولون: المسيح عبد؟
- الباقلاني: نعم، كذا نقول، وبه ندين.
- الملك: ولا تقولون: إنَّهُ ابن الله؟
- الباقلاني: معاذ الله، ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ﴾ (المؤمنون: ٩١) إنَّكم لتقولون قولاً عظيمًا، فإذا جعلتم المسيح ابن الله، فمن أبوه، وأخوه، وجده، وعمه، وخاله؟ وعددت عليه الأقارب، فتحيَّر.
- الملك: يا مسلم، العبد يَخْلقُ، ويحيي، ويميتُ، ويبرئ الأكمه والأبرص؟
- الباقلاني: لا يقدر العبد على ذلك، وإنمَّا ذلك كلّه من فعل الباري عزَّ وجلَّ.

- الملك: وكيف يكون المسيح عبدًا لله وخلقًا من خلقه، وقد أتى بهذه الآيات، وفعل ذلك كلَّه؟

- الباقلاني: معاذ الله، ما أحيا المسيح الموتى، ولا أبرأ الأكمه والأبرص. فتحيَّر الملك وقلَّ صبره.

- الملك: يا مسلم، تنكر هذا مع اشتهاره في الخلق، وأَخْذِ الناس له بالقبول؟

- الباقلاني: ما قال أحدٌ من أهل الفقه والمعرفة: إنَّ الأنبياء - عليهم السلام - يفعلون المعجزات من ذاتهم، وإنمَّا هو شيءٌ يفعله الله تعالى على أيديهم؛ تصديقًا لهم يجري مجرى الشهادة.

- الملك: قد حضر عندي جماعة من أولاد نبيكم، وأهل دينكم، المشهورين فيكم، وقالوا: إنَّ ذلك في كتابكم.

- الباقلاني: أيها الملك، في كتابنا أنَّ ذلك بإذن الله تعالى، وتلوت عليه قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ ﴿١١٠﴾ ﴾ المائدة. وقلت: إنَّ ما فعَلَ ذلك كلِّه بالله وحده لا شريك له، لا من ذات المسيح، ولو كان المسيح يحيي الموتى، ويبرئ الأكمه والأبرص من ذاته، لجاز أن يقال: إنَّ موسى فلق البحر، وأخرج يده بيضاء من غير سوء من ذاته، وليس معجزات الأنبياء عليهم السلام من ذاتهم وأفعالهم دون إرادة الخالق، فلمّا لم يَجُزْ هذا: لم يجز أنْ تُسندَ المعجزات التي ظهرت على يد المسيح إليه.

- الملك: وسائر الأنبياء كلهم، من آدم إلى من بعده كانوا يتضرَّعون للمسيح؛ حتى يفعل ما يطلبون!!

- الباقلاني: أَوَ في لسان اليهود عظمٌ لا يقدرون أن يقولوا: إنَّ المسيحَ كان يتضرَّع إلى موسى؟ وكل صاحب نبي يقول: إنَّ المسيح كان يتضرَّع إلى نبيّه، فلا فرق بين الموضعين في الدعوى.

المجلس الثالث:

- الباقلاني: لِمَ اتحدَ اللّاهوت بالنّاسوت؟
- الملك: أراد أنْ يُنَجِّي الناس من الهلاك.
- الباقلاني: وهل درى بأنَّه يُقتلُ ويُصلبُ، ويُفعلُ به كذا، ولم يأمن من اليهود؟ فإن قلت: إنَّهُ لم يدرِ ما أراد اليهود، بَطُلَ أنْ يكونَ إلهًا، وإذا بَطُلَ أن يكونَ إلهًا بَطُلَ أنْ يكونَ ابنًا. وإنْ قلتَ: قد درى ودخل في هذا الأمر على بصيرةٍ، فليس بحكيم؛ لأنَّ الحكمة تمنع من التعرُّض للبلاء.

فبُهِتَ، وسأل الباقلاني أحد المطارنة: كيف أنتَ؟ وكيف الأهلُ والأولاد؟

- الملك: وقد عجب من قوله، ذكر من أرسلك في كتاب الرسالة أنك لسان الأمة، ومتقدّمٌ على علماء الملّة! أما علمتَ أنّنا نُنَزِّهُ هؤلاء عن الأهل والولد؟
- الباقلاني: أنتم لا تنزِّهون الله سبحانه وتعالى عن الأهل والأولاد، وتنزِّهونهم؟ فكان هؤلاء عندكم أقدسَ وأجلَّ وأعلى من الله سبحانه وتعالى!! فَسُقِطَ في أيديهم، ولم يردُّوا جوابًا.
- الملك: أخبرني عن قصة عائشة زوج نبيكم، وما قيل فيها؟
- الباقلاني: هما اثنتان، قيل فيهما ما قيل: زوج نبينا، ومريم ابنة عمران، فأما زوج نبينا فلم تلد، وأما مريم فجاءت بولد تحمله على كتفها، وكلٌّ قد برَّأها الله مما رُمِيَتْ به، فانقطع الملك ولم يُحِر جوابًا.

جاء في كتاب التذكرة الحمدونية:

في الكتاب العزيز من الحجج البالغة ما يكون غايةً لمن تمثل به، وكيف لا يكون ذلك، وهو برهان الشريعة ودليلها، ومحجة الهداية وسبيلها، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾ يس.

وقال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ القيامة.

وقوله ﷻ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾ الروم.

أي في تقرير عقولكم وقياس ظنونكم المأخوذين من معارفكم.

وقوله ﷻ حكاية عن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾﴾ الأنعام.

ومن آيات الحجاج القاطع في إقامة التوحيد وتوهين الشرك قوله سبحانه: ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ الإسراء.

وقوله تعالى: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾﴾ المؤمنون.

وقوله تعالى في تفرده بخلق البرية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾﴾ الحج.

ومن الحجة في أمر كتابه: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾﴾ البقرة.

وقال في الدلالة على إثبات نبوة رسوله ﷺ وعلى آله وسلم بتأمل أحواله وتدبر ما جاء به: ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ المؤمنون.

فإنه كان صلى الله عليه وعلى آله وسلم يعرف في قريشٍ قبل البعثة بالصادق الأمين.

وقوله تعالى: ﴿ قُل لَّوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُم بِهِ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ يونس.

ولما بعث رسول الله ﷺ قام، فقال: يا معشر قريشٍ، لو قلت لكم: إن خيلاً تطلع عليكم من هذا الجبل أكنتم مصدقي؟

قالوا: نعم.

قال: فإني نذيرٌ لكم بين يدي عذاب شديد.

فلما أقروا بصدقه خاطبهم بالإنذار، ودعاهم إلى الإسلام.

وجاء في المستطرف:

قال الحكماء: إذا أراد الله بعبد خيرًا ألهمه الطاعة، وألزمه القناعة، وفقهه في الدين، وعضده باليقين، فاكتفى بالكفاف، واكتسى بالعفاف، وإذا أراد به شرًّا حبب إليه المال، وبسط منه الآمال، وشغله بدنياه، ووكله إلى هواه، فركب الفساد وظلم العباد.

- الثقة بالله أزكى أمل، والتوكل عليه أوفى عمل.
- من لم يكن له من دينه واعظ لم تنفعه المواعظ.
- من سره الفساد ساءه المعاد.

- كل يحصد ما زرع، ويجزى بما صنع.
- لا يغرنك صحة نفسك وسلامة أمسك، فمدة العمر قليلة، وصحة النفس مستحيلة. من أطاع هواه، باع دينه بدنياه.
- ثمرة العلوم العمل بالمعلوم.
- من رضي بقضاء الله لم يسخطه أحد، ومن قنع بعطائه لم يدخله حسد.
- أفضل الناس من لم تفسد الشهوة دينه.
- خير الناس من أخرج الحرص من قلبه، وعمي هواه في طاعة ربه.
- نصرة الحق شرف، ونصرة الباطل سرف.
- البخيل حارس نعمته، وخازن لورثته.
- من لزم الطمع، عدم الورع.
- إذا ذهب الحياء، حل البلاء.
- علم لا ينفع، كدواء لاينجع.
- من جهل المرء أن يعصي ربه في طاعة هواه، ويهين نفسه في إكرام دنياه.
- أيام الدهر ثلاثة: يوم مضى لا يعود إليك، ويوم أنت فيه لا يدوم عليك، ويوم مستقبل لا ندري ما حاله، ولا تعرف من أهله.
- من كثر ابتهاجه بالمواهب، اشتد انزعاجه للمصائب.
- عظِ المسيء بحسن أفعالك، ودل على الجميل بجميل خلالك.
- إياك وفضول الكلام، فإنه يظهر من عيوبك ما بطن، ويحرك من عدوك ما سكن.
- لا يجد العجول فرحًا، ولا الغضوب سرورًا، ولا الملول صديقًا.
- حسن النية من العبادة.
- حسن الجلوس من السياسة.

- من زاد في خلقه نقص في حظه.
- من ائتمن الزمان خانه.
- أظهر الناس محبة أحسنهم لقاء.
- لا يكمل للإنسان دينه حتى يكون فيه أربع خصال: يقطع رجاءه مما في أيدي الناس، ويسمع شتم نفسه ويصبر، ويحب للناس ما يحب لنفسه، ويثق بمواعيد الله.
- إياك والحسد، فإنه يفسد الدين، ويضعف اليقين، ويذهب المروءة.
- قيل لأفلاطون: ما الشيء الذي لا يحسن أن يقال، وإن كان حقًّا؟
- قال: مدح الإنسان نفسه.
- أربعة تؤدي إلى أربعة: الصمت إلى السلامة، والبر إلى الكرامة، والجود إلى السيادة، والشكر إلى الزيادة.
- من ساء تدبيره أهلكه جده.
- الغرة ثمرة الجهل.
- آفة القوة استضعاف الخصم، وآفة النعم قبيح المن، وآفة الذنب حسن الظن.
- الحزم أسد الآراء، والغفلة أضر الأعداء.
- من قعد عن حيلته، أقامته الشدائد، ومن نام عن عدوه، أيقظته المكايد.
- من قرب السفلة واطرح ذوي الأحساب والمروءات استحق الخذلان.
- من عفا تفضل، ومن كظم غيظه فقد حلم. ومن حلم فقد صبر، ومن صبر فقد ظفر. من ملك نفسه عند أربع حرمه الله على النار: حين يغضب، وحين يرغب، وحين يرهب، وحين يشتهي.
- من طلب الدنيا بعمل الآخرة فقد خسرهما، ومن طلب الآخرة بعمل الدنيا فقد ربحهما. كلام المرء بيان فضله وترجمان عقله، فاقصره على الجميل، واقتصر منه على القليل.

- كل امرئ يعرف بقوله، ويوصف بفعله، فقل سديدًا وافعل حميدًا.
- مـن عرف شأنه، وحفظ لسانـه، وأعرض عما لا يعنيه، وكف عن عرض أخيه، دامت سلامته، وقلّت ندامته.
- كن صموتًا وصدوقًا، فالصمت حرز، والصدق عز.
- من أكثر مقاله سئم، ومن أكثر سؤاله حرم.
- من استخف بإخوانه خذل، ومن اجترأ على سلطانه قتل.
- ما عز من أذل جيرانه، ولا سعد من حرم إخوانه.
- خير النوال ما وصل قبل السؤال.
- أولى الناس بالنوال، أزهدهم في السؤال.
- من حسن صفاؤه، وجب اصطفاؤه.
- من غاظك بقبيح الشتم منه، فغِظْه بحسن الحلم عنه.
- من يبخل بماله على نفسه، جاد به على زوج عرسه.
- إذا اصطنعت المعروف فاستره، وإذا اصطنع إليك فانشره.
- من جاور الكرام، أمن من الإعدام.
- من طاب أصله، زكا فرعه.
- من أنكر الصنيعة، استوجب القطيعة. ومنّ منَّ بمعروفه، سقط شكره، ومن أعجب بعمله حبط أجره.
- من رضي من نفسه الإساءة، شهد على أصله بالرداءة.
- من رجع في هبته بالغ في خسته.
- من رقي في درجات الهمم، عظم في عيون الأمم.
- من كبرت همته، كثرت قيمته.
- من ساء خلقه، ضاق رزقه.

- من صدق في مقاله، زاد في جماله.
- مـن هان عليه المال، توجهـت إليه الآمال. ومن جاد بماله جل، ومن جاد بعرضه ذل. خير المال ما أخذ من الحلال، وصرف في النوال، وشر المال ما أخذ من الحرام، وصرف في الآثام.
- أفضل المعروف إغاثة الملهوف.
- مـن تمـام المـروءة أن تنسـى الحق لك، وتذكـر الحق عليـك، وتستكبر الإساءة منك، وتستصغرها من غيرك.

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل السادس

مهـــارة الخطـــاب

١. حاجتنا لهذه المهارة.

٢- التهيئة والتدريب.

٣- أساسيات الخطاب.

٤- عيوب الخطاب.

٥- سمات الخطيب المؤثر.

٦- عيوب الخطيب.

٧- نموذج وتحليل.

٨- نصوص في مهارة الخطاب.

obeikandl.com

obeikandl.com

مهارة الخطاب:

قيل: (كلام المرء بيان فضله، وترجمان عقله، فاقصره على الجميل، واقتصر منه على القليل).

مهارة الخطاب:

١- التهيئة والتدريب.
٢- أساسيات الخطاب.
٣- عناصر قوة الخطاب، وتكمن في: (المتكلم، والخطاب، والسامع).
٤- عيوب الخطاب.
٥- نماذج وتحليل.

هل نحن بحاجةٍ إلى هذه المهارة؟

كلُّ متخصِّصٍ في غير اللغة العربية، أو العلوم الشرعية، وبخاصةٍ أولئك الذين يتخصصون في العلوم البحتة والتطبيقية يطرحون على أنفسهم سؤالاً، هو: ما علاقتي بفن الخطاب أو الخطابة؟ وترتسم على محياه ابتسامة ساخرة، وهو يردِّدُ، وهل سأصبحُ خطيب جمعةٍ؟ ولم كلُّ هذا العناء؟ وهذه الدراسة التخصصية في الكيمياء، أو الكهرباء، أو الميكانيكا...إلخ؟

وتأتي الإجابة بأنَّ الخطابة لأهلها، وأنَّ وقتًا يُصرَفُ في معرفتها، والتدرُّب عليها هو وقتٌ ضائعٌ، لو صُرف في التخصص لكانَ أجدى وأنفع.

وحقيقة الإجابة ألا تكون كذلك، فلو استغنى عن فن الخطاب والخطابة أحد، لاستغنى الأنبياءُ عليهم السلام بمعجزاتهم، فها هو سيدنا موسى عليه السلام يأتي فرعون وقومه بعشر آيات معجزات، ومع ذلك يطلب من ربِّه عز وجل، قائلاً: ﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا

قَوْلِي ﴿٢٨﴾ وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَارُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ ﴾ طه.

وهل النبي يحتاج إلى غيره لينوب عنه في مخاطبة الناس؟ أفلا يكفيه ما يحمله من تبليغ عن ربه ﷻ، وما يؤتاه من معجزات تحسم الأمر، وتفرضه بقوتها لا بقوة الكلام؟ نعم، كان الأنبياء وسيدنا موسى عليهم السلام بأمس الحاجة إلى المهارة الخطابية، حتى جعل صاحب معجزة العصا واليد سيدنا موسى عليه السلام يدعو ربه، كما جاء في كتابنا العظيم، قال تعالى: ﴿ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ ﴾ القصص.

وجاء في معجم كامبردج لتاريخ الأدب الأمريكي أن الرئيس «لنكولن» صاحب الشعبية الواسعة لم يفز بموقع الرئاسة في حزبه عام ١٨٦٠م بسبب سياساته أو أعماله، وإنما بأسلوبه المؤثر في التخاطب والتعبير، وهكذا الحال في كل الحركات التغييرية، فإن الأقدر على قوة التعبير والخطاب هم الأقدر على القيادة [١].

وعلى الرغم من التأثير الكبير لوسائل الإعلام بأنواعها، فإن من الباحثين[٢] من يذهب إلى أن الحديث المباشر بين الأشخاص، والمخاطبة المباشرة تؤدي إلى تغيير الآراء، والتأثير في الآخرين أكثر من الاستماع إلى الإذاعة، أو مشاهدة التلفاز، أو قراءة الجريدة، أو المجلة ونحو ذلك.

(وكم من خطبة تناقل الناس عباراتها، واحتجوا بأفكارها، وتداولوها بينهم إعجابًا واستحسانًا بها، وكم من خطبة أحدثت تحولًا في عادات الناس وتصوراتهم، وكم من خطبة فتحت باب الأمل والتوبة لدى بعض المخاطبين.

(١) انظر دليل التدريب: ص ٦٥.

(٢) انظر الاتصال الجماهيري والمجتمع: ص ٢٣٢.

غير أنه بالمقابل ربما كان للخطبة آثار سيئة، وأضرار خطيرة على المخاطبين، من: تهييج، أو تيئيس، أو تناقل أخبار من قبيل الشائعات، أو نشر بدعة، وطمس سنة، أو بث فتنة وفساد بين الناس[1]).

ومن الأمثلة على تغيير الآراء والاتجاهات لمجرد سماع خطبة، ما ورد في الحديث عن الخوارج الذين خرجوا على الخليفة الرابع علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ففي مناظرته لهم رجع معه منهم ألفان من حروراء انقادوا لرأيه، وأطاعوه بعدما سمعوا ما قاله.

وقد ورد في مسرحية يوليوس قيصر لشكسبير، بعد أن تم قتل القيصر من قبل الثائرين عليه، ومن ضمنهم صديقه بروتس الذي قال فيه عندما رآه يستلُّ خنجره: « حتى أنت يا بروتس؟! فذهبت مثلاً، والشاهد أن بروتس كان من أعظم خطباء روما، فأقنع الشعب الهائج والداعي للانتقام من القتلة، بصحة رأي الثوار، فانحاز الشعب إليهم، ثم قام من بعده ابن أخت القيصر أنطونيوس، وألقى خطبة أعادت الجماهير إلى رأيها الأول، فهاجمت الثوار، وقضت عليهم.

وفي عصرنا الحاضر، وبعد نكبة حزيران عام ١٩٦٧م أصيب كل العرب بخيبة أملهم في الزعيم جمال عبد الناصر، ولكنه ما إن ألقى خطبةً تحمَّل فيها المسؤولية، وقدم استقالته، حتى عادت الجماهير تنادي به زعيمًا وقائدًا.

ولذلك، فالحاجة إلى فن الخطاب حاجة ماسة لكل الرياديين والقادة، والمختصين، فرجال: السياسة، والعلم، والإعلام، والأدب، والتجارة، والاقتصاد، وكل من يقود فريقًا، ويدير منشأة، ويرأس مجموعة، بل وكل عضو مهما كانت مرتبته يحتاج هذه المهارة، حتى أولئك الذين قد يظنون أنهم فعلاً لن يأملوا في

(٢) خطبة الجمعة وأثرها في تربية الأمة ٢/١.

أن يتعرّضوا للوقوف أمام باب الخطاب وفي ساحاته، ومنابره، ستعرض لهم الحاجة، وعندها لا تنفعهم إجابتهم السابقة.

وقد اهتم العرب بهذا الفن، وجوّدوه، وأعطوه من أنفسهم، وقد قال صاحب العقد الفريد [1]: **(ونحن قائلون بعَون الله وتَوْفيقه في الخُطب التي يُتخيرّ لها الكلامُ، وتفَاخرت بها العربُ في مَشاهدهم، ونَطقت بها الأئمة على مَنابرهم، وشُهرت بها في محافلهم، وقامت بها على رُؤوس خُلفائهم، وتَباهت بها في أعيادهم ومَساجدهم، ووصلَتْها بِصَلَواتهم، وخوطب بها العوام، واستُجزلت لها الألفاظ، وتُخيِّرت لها المعاني).**

وفن الخطاب هو وسيلة الاتصال المثلى القادرة على تكوين: الاتجاهات، والمذاهب، والأفكار، والأحزاب، والرؤى، والقناعات، وهو وقود تغيير الرأي، والانقياد لأمرٍ، والاستعداد لحالة.

التهيئة والتدريب:

يقول عبد الملك بن مروان: «شيَّبتني المنابر» وإنَّ منْ شيَّبَتْهُ المنابر لجدير بأن ينقل لنا هذه التجربة، ويخبرنا عن أن تؤخذ بحقها، فهي ليست مهمة سهلة، وإنمَّا تحتاج إلى عدةٍ واستعداد، وإلى تهيئة وتدريب، وتلقِّي فن الخطاب لا يتأتّى إلاَّ بعد طول تهيئة.

وقد ورد في مناهج القدماء كيفية إعداد الخطيب الناجح، وذلك من خلال مجموعة طرائق يأخذون بها من يعدونه لهذه المهمة، ومنها:

- **الفطرة والميل والموهبة**، التي هي البذرة والأساس، ولكنها تحتاج إلى غيرها من الأسباب والدواعي، حتى تصبح شجرة وارفة الظلال، ومن

(١) العقد الفريد ١ /٤٨٦.

دونها تظل بذرة تحمل في طياتها القوَّة والإمكان، ولكنها لا تستطيع الانطلاق والانعتاق، لتشق الأرض، وتصعد عالية تتمايل غصونها وثمارها، فالبذرة دون تراب، وهواءٍ، وشمسٍ، وماءٍ، وسمادٍ، تبقى على حالها، وهذا حال الموهبة دون علمٍ، وصقلٍ، وتهذيبٍ، وتدريبٍ.

- **الإعداد والتأهيل من خلال التعليم، وإتقان اللغة**، فالعلم أساس العمل، والفقهاء يقولون: «العلم قبل القول والعمل» وإتقان اللغة شرطٌ لإتقان الخطابة؛ لأنَّ البناء لا يقوم إلّا على أساسٍ صالحٍ قوي، واللغةُ أساس البناءِ، ولبناته، وفنيته، وجماله، وقوتهُ، وبهاؤه.

- **حفظ أجزاء من القرآن الكريم، والحديث الشريف، وأشعار العرب، وأخبارها**، وخطبها، وحكمها، وأمثالها، وأقوالها المأثورة.

فالحفظ كنزٌ ورصيدٌ يستعين به الخطيبُ عند حاجته، ويتمثّل به في الحالات، ويستخدمه في أدلته وحججه.

قال الفُضَيل[1]: «**نعمت الهديَّة الكلمةُ من الحِكمة يحفظُها الرَّجُل حتى يلقيَها إلى أَخيه.**

وكان يقال: يكتب الرَّجلُ أحسنَ ما يسمع، ويحفظ أحسن ما يكتب.

وكان يقال: اجعل ما في كتبك بيتَ مال، وما في قلبك للنَّفَقة.

وقال أَعرابيّ: حَرْفٌ في قلبك خير من عشرة في طُومارك».

- **المران والدربة**: فالدربة خير وسيلة لاكتمال المهارة، وحسن أدائها، وقد كان العرب يقومون بتدريب أبنائهم على ممارسة: الخطابة، والمساجلةِ،

(١) البيان والتبيين ١ /٧٧ .

والمقافـاة، ويـروى أنَّ الخليفة هـارون الرشيد، كان يطلب من مـؤدب أولاده أن يضـع لهم الخطب؛ ليلقوها في المناسبـات الاجتماعية؛ ليكون ذلك تدريبًا لهم، وأهمية التدريب والممارسة تكاد توازن التعليم نفسه.

ومثال ابن مقلة الخطاط خير مثال على أنَّ الدربة هي الوسيلة المثلى للإتقان، حيث يقـول[1]: (**إنّي أُراني يوم الخميس أخطَّ منّي يوم السبت**) وهذا القول من أعظم الخطاطين إنّما يدلّ على أهمية المران والدربة، والممارسة والتجربة، ولذلك قيل: (**المران يؤدي إلى الاكتمال**)، ويقول الشاعر أبو إسحاق الغزي [2]:

ركبتهُ وهو مثلُ السيفِ مُنصَلتًا وكلُّ صَعْبٍ إذا مارَسْتَهُ هانا

- **الثقافـة الواسـعة**: يحتـاج الخطيب إلى ثقافةٍ تعينـهُ في تمثل الحالات، ومعرفة الاتجاهات، وتحليل الظواهر، واستنباط العلل، واستكشاف الغوامض.

وورد في كلام العرب[3]: «**رأْسُ الخطابة الطبع، وعَمودها الدُّرْبة، وحَلْيها الإعراب، وبَهاؤها تَخُيّر اللفظ، والمحبّة مَقْرونة بقلّة الاستكراه**».

أساسيات الخطاب:

نجـاح الخطاب يتطلَّب مجموعة من الأسس؛ حتـى يؤثر تأثيرًا إيجابيًّا في المخاطبين، ومن ذلك:

---

(١) الـوافي بالوفيـات ٤ / ١٠٩ وهو محمد بن علي بن مقلة أشهـر خطاطي العصر العباسي، وزر عدة مـرات، وسجن وصودرت أمواله، وقطعـت يمينه، ومات في السجن، سنة ٣٢٨هـ وانظر ترجمته في معجم الأدباء ٦/ ٢٥٧٤.

(٢) ديوان الغزي: ص ٤٣٩.

(٣) البيان والتبيين ١/١٢.

- **تخيُّر الألفاظ والأفكار الموائمة للموضوع والجمهور**، فما يُقال في حرب، غير ما يُقال في سلام، وما يُقال في جِدٍّ غير ما يُقال في هَزْل، وما يقال في فرح غير ما يُقال في حزن، فمناسبة الخطاب للمخاطب، والموقف من أساسيات نجاح فن الخطاب.

- **مخاطبة العقل والعاطفة**، والاعتماد على أحدهما قد يُفضي إلى السير على رجل واحدة، فمخاطبة العقول للإقناع، والقلوب للتأثير، وبمخاطبة العقول نستعين: بالتمثيل، والاقتباس، والاستنباط، والدليل، والحجة، والبرهان، وفي مخاطبة القلوب نثير العواطف: الدينية، والوطنية، والأسرية، والاجتماعية.

- **القوة والجزالة في الألفاظ والأسلوب**، وذلك يتم من خلال، فصاحة الألفاظ، وبلاغة المعاني، فصحَّةُ العبارة وفصاحتها، وجزالة السبك وقوته، وجمال الصورة والتشبيه وروعتهما، وتناسب الجمل، وعذوبة الإيقاع، كل ذلك له تأثيره الفعّال في النفوس.

- **الوضوح في العبارة والفكرة**، ولا يعني الوضوح: السطحية، والابتذال، والركاكة، فالصورة الفنية والبلاغية من شروط الخطبة المؤثرة. وقدوتنا كتاب الله عزّ وجلّ، حيث جاء واضحًا بيِّنًا، فقال تبارك وتعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ الشعراء.

والإبانة: هي الوضوح، والظهور، والإشراق، ومع وضوح القرآن الكريم، فقد كان إعجازًا بيانيًّا، تحدّى بإعجازه الكفار أصحاب القدرة البيانية، والجدل والخصام، فقال تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾﴾ البقرة.

- **الموازنة بين الطول والقصر** على حسب الحاجة وما يستدعيه الموقف، و(**أعلم أنّ جميع الخُطب على ضَرْبين: منها الطِّوال، ومنها القِصَار؛ ولكُلّ ذلك مَوْضع يَليق به، ومكانٌ يَحسُن فيه**[1]).

- **مراعاة أحوال السامعين ودرجاتهم**، فالخطاب في الحاجة غيره في الاستغناء، وفي حالات الخوف غير الأمن، وفي الشدة غير الرخاء، ودرجاتهم من العلو والدنو، وفي العلم والجهل، وقد ورد عن رسول الله ﷺ: قوله: (**أمرنا أن نخاطبَ الناسَ على قدْرِ عقولها**[2]).

ومثله قول ابن مسعود: «**ما أنت بمحدِّثٍ قومًا حديثًا لا تبلغُه عقولهُم إلا كانَ لبعضِهم فتنةً**[3]».

وكذلك فخطاب القريب غير خطاب البعيد، وخطاب الموافق غير خطاب المخالف، والمؤيد غير المعارض، فمن المنطق ألا نخاطب الناس بطريقة واحدة، وذلك لاختلاف الرؤى والمناهج، والعقول، والمدارك، والثقافات.

وقد قال النبي ﷺ لمعاذ بن جبل لما بعثه إلى اليمن: «**إنك تقدم على قوم أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله**»[4].

وفي هذا الحديث الشريف مراعاة لحال المخاطبين، فهؤلاء هم أهل كتاب، لديهم من العلم الديني ما ليس للكفار والمشركين، فمخاطبتهم تختلف عن دعوة غيرهم من الوثنيين الذين ليس لديهم أدنى معرفة بأساسيات العقيدة.

---

(١) العقد الفريد ١/٤٨٦.

(٢) رواه مسلم ١/١١.

(٣) صحيح مسلم المقدمة ١١١.

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري، وهذا لفظه (الزكاة ١٤٥٨) ومسلم (الإيمان ٣١).

عيوب الخطاب:

كما للخطاب محاسن وإيجابيات، فله عيوب ومساوئ وسلبيات، وقد اهتم القدماء بذكر هذه المساوئ، وذلك لتجنبها، والتخلص منها، ومنها:

- **استعمال غريب الكلام الذي لا يُفْهَم**، وغامضه الذي لا يَبين، إظهارًا للتعالم، وإدلالاً بالمعرفة.

- **الإسهاب والإطالة في غير حاجة**، والاستطراد مما يؤدي إلى عدم استكمال الفكرة. وإملال السامع، وإضاعة الوقت.

- **الثرثرة في غير طائل**، قال رسول الله ﷺ: «**ألا أخبركم بأحبكم إلي وأقربكم مني مجالس يوم القيامة أحاسنكم أخلاقًا، الموطؤون أكنافًا،الذين يألفون و يؤلفون، ألا أخبركم بأبغضكم إليَّ وأبعدِكم مني مجالس يوم القيامة، الثرثارون المتفيهقون**[1]».

سمات الخطيب المؤثِّر:

يزداد تأثير الخطيب في الجمهور المخاطَبِ إذا توفَّرت فيه سماتٌ بلاغية، وشخصية ومعنوية.

أولاً: الصفات البلاغية: وتبدو من خلال بيانٍ آسر، ولسانٍ فصيح، ومنطقٍ جهوري.

ثانيًا: الصفات الشخصية: وتتمثَّل في الآتي:

- **المكانة:** كلما ارتقت مكانة الخطيب: العلمية، أو الاجتماعية، أو السياسية، زاد تأثيره، والاهتمام بما يقول.

(١) جاء في صحيح مسلم في حديث رقم ٦١٧٧: «**إن من خياركم أحاسنكم أخلاقًا**».

- **جهارة الصوت وقدرته على تمثل الحالات**، وخلوه ممّا يشينه من حبسةٍ وتلكؤٍ وعنعنةٍ، واستعانة، وغير ذلك ممّا يعرض للصوت، فيضعفه.

- **حسن السمت وكمال الهيئة:** من كمال الأعضاء، وحسن اللباس، مما يؤدي إلى الاحترام والتوقير، ولا يعني كلامنا أنَّ نقصَ شيءٍ من ذلك يعني عدم القدرة على التأثير، فامتلاك الصفات السابقة الذكر، من: فصاحة، وبلاغةٍ، وجمال صوتٍ، وروعةِ أداءٍ، وقوَّةِ إلقاء، تغطي على بعض النقص هنا أو هناك، فالأحنف بن قيس كان مع حنف رجليه وعوره، خطيبَ قومه ورئيسَهم، والحطيئةُ على دمامته، فقد كان يُقدَّمُ؛ لجودة شعره.

ثالثًا: الصفات المعنوية: من: حسن خلق، ولطيف معشر، وتودّد إلى الناس، وما يتبعهما من: التؤدة، والجدية، والوقار، والإخلاص، والصدق.

عيوب الخطيب:

يجدر بكل خطيب أن يتخلص مما يشين خطابه من مساوئ وعيوب، قد ترجع إليه، لا إلى الخطاب، ومن العيوب التي تتمثل في الخطيب:

- **الاستعانة:** وهي استعمال ألفاظ: افهم عني، واسمع مني، أو استخدام أصوات يستعين بها، حتى تأتيه الفكرة أو العبارة.

- **الاضطراب وكثرة الالتفات.**

- **عيوب في جهاز النطق**، كضعف الصوت، أو تحشرجه، وتقطعه، أو شدته وغلظته، وعدم قدرته على مواءمة حال العبارة، من سعادة وأمل، أو بؤسٍ وتشاؤم، أو فرح وحزن، وتساؤل واندهاش، وتعجب وحيرة، بل يسير في طبقة واحدة، ونغمةٍ لا تتغير، فلا يُعطى الكلام حقه، ولا الموقف أهميته.

- **عيوب في اللسان:** كاللثغة، والفأفأة، والتأتأة، والعنعنة، وغيرها من العيوب الخِلقية التي تؤثِّر في صاحب الخطاب والمخاطب تأثيرًا سلبيًّا.

ومما ورد من المساوئ عند العرب، قولهم [1]:

«الاستعانة بالغَريب عَجْز، والتّشادق في غَير أهل البادية نَقْص، والنَّظر في عُيون الناس عِيّ، ومَسْح اللِّحية هُلْك، والخُروج عَمّا بُني عليه الكلامُ إسهاب.

وأَنشدوا في عِيّ الخَطِيب، واستعانته بمَسْح العثْنون، وفَتْل الأَصَابع:

مَلِيءٌ ببُهْر والتفات وسُعْلة ومَسْحةِ عُثْنون وفَتْلِ الأصابعِ

نموذج لتعليم الخطابة[2]:

مَـرّ بِشرٌ بن المُعتمر بإبراهيم بن جِبلة بن مخْرمة السَّكوني الخَطيب، وهو يعَلِّم فِتْيانهم الخَطابة، فوقف بِشرٌ يستمع، فظنّ إبراهيم أنه إنما وَقف ليَسْتفيد، أو يكـون رجلاً من النظّارة. فقـال بشر: اضربوا عمّا قـال صفْحًا، واطووا عنه كَشْحًا، ثم دفع إليهم صَحيفة من تَنْميقه وتحْبيره، فيها:

(خُذْ من نفسك ساعة نشاطك، وفراغ بالك، وإجابتها إياك، فإنّ قليل تلك الساعة أكرمُ جوهرًا، وأشرفُ حَسبًا، وأحسن في الأسماع، وأَحْلى في الصُّدور، وأسلم من فاحش الخَطأ، وأجلبُ لكُلّ عين وغُرّة، من لفظ شريف، ومَعنى بديع، واعلم أنّ ذلك أَجدى عليك مما يُعطيك يومُك الأطْول بالكدّ والمُطاولة، والمُجاهدة بالتّكليف والمُعاودة، ومهما أَخطأك لم يُخطئك أن يكون مقبولاً قصدًا، وخَفيفًا على اللسان سَهْلاً، كما خَرج من يَنبوعه، ونجَم من

---

(١) كتاب الصناعتين ١ / ٢٠.

(٢) المصدر نفسه ١/ ٢٠ .

مَعدنه ؛ وإياك والتوعّرَ، فإن التوعّر يُسلمك إلى التَّعقيد، والتّعقيد هو الذي يَسْتهلك مَعانيك، ويَشين ألفاظَك.

ومَن أراد معنًى كريمًا فَلْيَلْتمس له لفظًا كريمًا، فإنَّ حقَّ المعنى الشريف اللفظُ الشريفُ ؛ ومن حقِّهما أن تَصونَهما عما يُفسدُهما ويهجِّنُهما، وعما تعود من أجله إلى أن تكون أسوأ حالاً منك قبل أن تَلتمسَ إظهارهما، وتَرتهنَ نفسَك بمُلابستهما وقضاء حقهما.

وكن في ثلاث منازل: وإن أَوْلَى الثلاث أن يكون لفظُك رشيقًا عَذْبًا، وفخمًا سهلاً، ويكون معناك ظاهرًا مكشوفًا، وقريبًا معروفًا، إمّا عند الخاصة، إن كنت للخاصة قصدت، وإمّا عند العامة، إن كنت للعامة أردت، والمعنى ليس يشرف بأن يكون من مَعاني الخاصة، وكذلك ليس يتضع بأن يكون من مَعاني العامة، وإنما مدار الشرف على الصواب، وإحرازِ المَنفعة مع مُوافقةِ الحال، وما يَجبُ لكلِّ مَقامٍ من المقالِ، وكذلك اللفظُ العاميُّ والخاصيُّ، فإن أمكنَك أن تبلغَ من بيان لسانك، وبلاغةِ قلمك، ولُطفِ مَداخلك، واقتدارك على نفسِك، على أن تُفْهِمَ العامةَ معاني الخاصة، وتَكسوَها الألفاظَ المتوسطةَ التي لا تَلطفُ عن الدهماء، ولا تَجفو عن الأكفاء، فأنت البليغُ التام).

ونحن نلحظ في هذه الصحيفة أن بشر بن المعتمر، وهو من كبار العلماء والمؤدبين والمختصين بالتعليم قد راعى في صحيفته أو في بيانه هذا المناهج الآتية:

١- **مراعاة المدارك**، فما يقدَّم للصغير غير ما يقدم للكبير، وللمبتدئ غير المتمرس، إلى جانب مراعاة البيئة، والحال.

٢- **التفاوت في الاستيعاب والعلم**، وهذا الأمر يلفتنا إلى أنَّ القدرة على الاستيعاب، وتحصيل العلم ليست متساوية عند الجميع، وذلك راجع

إلى الظـروف: الصحيـة، والعقليـة، والاجتماعيـة، والبيئية، فالجهد المبذول لتقديم العلم لفرد قد يقلّ أو يزيد عند آخر.

٣- **الجانب النفسـي** (التنـوع والاختلاف) والجد والهزل، والنثر والشعر، والطـول والقصـر، والسـرد والحفـظ، والفهـم والتعليـق، والتطبيق التعبيري، والتطبيق الخطابي، والتطبيق الشعري.

ومعرفـة نفسية المتلقي أو المستقبل ضرورية لنجـاح عملية الاتصال، ومن ذلـك ما أورده الجاحظ في بخلائه، من أنَّ بخيلاً سقط في بئر، فاجتمع الناس عليه، كلٌّ ينادي عليه، ويقول له:

أعطني يدك، فلم يعطِ أحدًا.

فجاءه أحدهم، فقال له: خذ يدي، فتلقفها.

وهذه الطرفة تبين عن فهم نفسية المتلقي الذي يأخذ ولا يعطي؛ لشدة بخله.

ومـن قراءة هذا النص- نص بشـر بن المعتمر- نجد تلك التوجيهات التي تضـع ضوابط الخطاب بشكل خاص، والإبداع بشكل عام، في: إبداعه وإنشائه، وإلقائه، وذلك في:

- **اختيار الأوقات المناسـبة**، وبخاصـة تلك التي لا يكون فيها القلب والفكر مشغولين، واختيار الوقت المناسب يوفر الوقت والجهد، ويعين على الإجادة.
- التحذير من وعورة الألفاظ، وغرابتها.
- المعاني قرينة الألفاظ، وتجانسهما وتآلفهما رهينٌ بالمواءمة بينهما.
- عذوبة اللفظ، وفخامته، وسهولته، ووضوحه، وقربه، ومناسبته للسامع.
- رفعة المعنى وشرفه يقوم على الصواب، والنفع، وموافقة الحال.

نصوص في مهارة الخطاب:

وفي تفضيل الإيجاز يقول جعفر بن يحيى لكتّابه[1]:

إن قدرتم أن تجعلوا كتبكم توقيعات فافعلوا.

وقال بعضهم: الزيادة في الحدّ نقصان.

وقال محمد الأمين: عليكم بالإيجاز، فإنَّ له إفهامًا، وللإطالة استبهامًا.

وقال شبيب بن شبة: القليل الكافي خيرٌ من كثير غير شافٍ.

وقال آخر: إذا طال الكلام عرضت له أسباب التكلّف، ولا خير في شيء يأتي به التكلّف.

وقد قيل لبعضهم: ما البلاغة؟ فقال: الإيجاز.

قيل: وما الإيجاز؟ قال: حذف الفضول، وتقريب البعيد.

وقول رسول الله ﷺ: «**أوتيت جوامع الكلم**»[2].

وقيل لبعضهم: لم لا تطيل الشّعر؟ فقال: حسبك من القلادة ما أحاط بالعنق. وقيل ذلك لآخر، فقال: لستُ أبيعه مذارعة.

وقيل للفرزدق: ما صيّرك إلى القصائد القصار بعد الطوال؟ فقال: لأني رأيتها في الصدور أوقع، وفي المحافل أجول.

وقالت بنت الحطيئة لأبيها: ما بال قصارك أكثر من طوالك؟ فقال: لأنها في الآذان أولج، وبالأفواه أعلق.

---

(١) كتاب الصناعتين ١/٥٤.

(٢) ورد الحديث في صحيح البخاري برواية «بعثت بجوامع الكلم، ونصرت بالرعب» باب١٢٢ ج٤ص١٢.

وقال أبو سفيان لابن الزبعري: قصرت في شعرك؟ فقال: حسبك من الشّعر غرّة لائحة، وسمةٌ واضحة.

وقيل للنابغة الذبياني: ألا تطيل القصائد كما أطال صاحبك ابن حجر؟

فقال: من انتحل انتقر.

وقيل لبعض المحدثين: مالك لا تزيد على أربعة واثنين؟

قال: هنّ بالقلوب أوقع، وإلى الحفظ أسرع، وبالألسن أعلق، وللمعاني أجمع، وصاحبها أبلغ وأوجز.

وقيل لابن حازم: ألا تطيل القصائد؟

فقال:

أبَى لي أن أطيلَ الشعرَ قصدِي ... إلى المعنى وعلمِي بالصَّوابِ

وإيجازي بمختصرٍ قريبٍ ... حذفتُ به الفضولَ من الجوابِ

فأبعثهنَّ أربعةً وستًّا ... مثقفةً بألفاظٍ عذابِ

خوالدَ ما حَدَا ليلٌ نهارًا ... وما حسنَ الصّبا بأخي الشّبابِ

وهنّ إذا وسمتُ بهنَّ قومًا ... كأطواقِ الحمائم في الرّقابِ

وكنَّ إذا أقمتُ مسافراتٍ ... تهادَاها الرّواةُ مع الرّكابِ

وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ما رأيت بليغًا قطّ إلّا وله في القول إيجاز، وفي المعاني إطالة.

وقيل لإياس بن معاوية: ما فيك عيبٌ غير أنك كثير الكلام.

قال: أفتسمعون صوابًا أم خطأً؟

قالوا: بل صوابًا.

قال: فالزيادة من الخير خيرٌ.

وليس كما قال، لأنّ للكلام غاية، ولنشاط السامعين نهاية، وما فضل عن مقدار الاحتمال دعا إلى الاستثقال، وصار سببًا للملال، فذلك هو الهذر والإسهاب والخطل، وهو معيب عند كل لبيب.

وقال بعضهم: البلاغة بالإيجاز أنجعُ من البيان بالإطناب.

وقال: المكثار كحاطب الليل.

وقيل لبعضهم: من أبلغ الناس؟

قال: من حلّى المعنى المزيز باللفظ الوجيز، وطبّق المفصل قبل التحزيز.

المزيز: الفاضل، والمزّ: الفضل. وقوله: «وطّبق المفصل قبل التّحزيز». مأخوذ من كلام معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو قوله لعمرو بن العاص لما أقبل أبو موسى: يا عمرو، إنه قد ضمّ إليك رجلٌ طويل اللسان، قصير الرأي والعرفان، فأقلل الحزّ، وطبّق المفصل، ولا تلقَه بكلّ رأيك.

فقال عمرو: أكثر من الطعام، وما بطن قومٌ إلا فقدوا بعض عقولهم.

والإيجاز: القصر والحذف.

فالقصر تقليل الألفاظ، وتكثير المعاني، وهو قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ البقرة.

ويتبيّن فضل هذا الكلام إذا قرنته بما جاء عن العرب في معناه، وهو قولهم: «القتل أنفى للقتل». فصار لفظ القرآن فوق هذا القول؛ لزيادته عليه في الفائدة، وهو إبانة العدل لذكر القصاص، وإظهار الغرض المرغوب عنه فيه لذكر الحياة، واستدعاء الرّغبة والرّهبة لحكم الله به ولإيجازه في العبارة.

فإنّ الذي هو نظير قولهم: «القتلُ أنفى للقتل» إنما هو «القصاص حياة» وهذا أقلّ حروفًا من ذاك، ولبعده من الكلفة بالتكرير، وهو قولهم: «القتل أنفى للقتل». ولفظ القرآن برئ من ذلك، وبحسن التأليف وشدة التلاؤم المدرك بالحسّ؛ لأنَّ الخروج من الفاء إلى اللام أعدل من الخروج من اللام إلى الهمزة.

وقال إسحاق بن حسان بن قُوهيّ: لم يفسِّر البلاغَة تفسيرَ ابنِ المقفَّع أحدٌ قَطُّ، سُئِل ما البلاغة؟ قال: البلاغة اسمٌ جامعٌ لمعانٍ تجري في وجوهٍ كثيرة، فمنها ما يكون في السُّكوت، ومنها ما يكون في الاستماع، ومنها ما يكون في الإشارة، ومنها ما يكون في الاحتجاج، ومنها ما يكون جوابًا، ومنها ما يكون ابتداءً، ومنها ما يكون شعرًا، ومنها ما يكون سَجعًا وخُطبًا، ومنها ما يكون رسائل، فعامّةُ ما يكون من هذه الأبواب الوحيُ فيها، والإشارةُ إلى المعنى، والإيجازُ هو البلاغة، فأمّا الخُطَب بين السِّماطَين، وفي إصلاح ذاتِ البَين، فالإكثارُ في غير خَطَل، والإطالةُ في غير إملال، وليكن في صدر كلامك دليلٌ على حاجتك، كما أنَّ خيرَ أبياتِ الشعر البيتُ الذي إذا سمِعْتَ صدْرَه عرَفْتَ قافيتَه.

كأنّه يقول: فرِّقْ بينَ صدر خطبة النكاح وبين صَدْر خُطْبة العيد، وخُطبة الصُّلْح وخُطبة التّواهُب، حتَّى يكونَ لكَ فنّ من ذلك صدرٌ يدلُّ على عَجُزِه ؛ فإنّه لا خيرَ في كلامٍ لا يدلُّ على معناك، ولا يشير إلى مَغْزَاك، وإلى العَمود الذي إليه قصدتَ، والغرضِ الذي إليه نزَعت.

قال: فقيل له: فإنّ مَلَّ السامعُ الإطالةَ التي ذكَرْتَ أنّها حقٌّ ذلك الموقِف؟

قال: إذا أعطَيْتَ كلَّ مَقام حَقَّه، وقمتَ بالذي يجبُ من سياسة ذلك المقام، وأرضيْتَ من يعرف حقوقَ الكلام، فلا تهتمَّ لما فاتَكَ من رضا الحاسد والعدُوّ ؛ فإنّه لا يرضيهما شيءٌ، وأمّا الجاهلُ فلستَ منه وليس منك، ورِضَا جميعِ النَّاس شيءٌ لا تنالُه، وقد كان يُقال: رضا النَّاسِ شيءٌ لا يُنال.

قال: والسُّنّة في خطبة النكاح أن يطيل الخاطبُ، ويقصِّر المُجيب.

وقال قيس بن عاصم المِنَقَريّ يذكُر ما في بني منقِر من الخَطابة:

إنِّي امرؤٌ لا يعتري خُلُقي ... دَنَسٌ يُفَنِّدهُ ولا أفْنُ
من مِنْقَرٍ في بيت مَكْرُمةٍ ... والأصلُ ينبتُ حولَه الغُصْنُ
خطباءُ حينَ يقومُ قائلُهمْ ... بيض الوُجوهِ مَصاقعٌ لُسْنُ
لا يَفْطُنون لعَيب جارِهم ... وهُمُ لحفظ جِوَارهم فُطُنُ[1]

خطبة من خطب رسول الله ﷺ: [2]

قال: خطَبَ رسول الله ﷺ بعشْر كلمات: حَمِد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيُّها الناس، إنّ لكم معالِمَ فانتهُوا إلى مَعَالمكمْ، وإنّ لكم نهايةً فانتهوا إلى نهايتكم، إنّ المؤمنَ بين مخافتين: بين عاجلٍ قد مَضَى لا يدري ما الله صانعٌ به، وبين أجلٍ قد بَقِيَ لا يدري ما اللهُ قاضٍ فيه، فليأخُذ العبدُ من نفسه لنفسه، ومن دُنياه لآخرته، ومن الشّبيبة قبل الكِبْرة، ومن الحياة قبل الموت، فوالذي نَفسُ محمدٍ بيده، ما بَعْدَ الموت من مُسْتَعْتَبٍ، ولا بَعد الدُّنيا من دارٍ، إلاَّ الجنَّة أو النار.

محاسن المخاطبات[3]:

قال: ذكروا أن ابن القرية دخل على عبد الملك بن مروان، فبينا هو عنده إذ دخل بنو عبد الملك عليه، فقال: من هؤلاء الفتية يا أمير المؤمنين؟ قال: ولد أمير المؤمنين. قال: بارك الله لك فيهم، كما بورك لأبيك فيك، وبارك لهم فيك، كما بورك لك في أبيك. فحشا فاه درًّا.

---

(١) ورد هذا الشعر ما سبقه في البلاغة في كتاب البيان والتبيين للجاحظ ٦٧/١.

(٢) الأربعون الودعانية: ص ٤.

(٣) نثر الدر ج٧: ص٢٩٦.

وقال رجل للعتابي: ما البلاغة؟

قال: كل ما أبلغك حاجتك وأفهمك معناه بلا إعادة ولا حبسة ولا استعانة فهو بليغ، قالوا: قد فهمنا الإعادة والحبسة فما معنى الاستعانة؟

قال: أن يقول عند مقاطع الكلام: اسمع مني، وافهم عني، أو يمسح عثنونه، أو يفتل أصابعه، أو يكثر التفاته، أو يسعل من غير سعلة، أو ينبهر في كلامه.

قال بعض الشعراء:

مليءٌ ببَهْرٍ والتفاتٍ وسعلةٍ ومسحةِ عُثنونٍ وفتلِ الأصابعِ

قالوا: ولما أغار سُفيان بن عَوف الأسديّ على الأنبار في خلافة علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وعليها حَسّان البكْري، فَقَتله، وأزال تلك الخَيْل عن مَسارحها، فَخرج عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حتى جَلس على باب السدّة، فَحمد الله وأثنى عليه، ثم قال[1]:

أما بعد، فإن الجهاد باب من أبواب الجَنَّة، فمن تَركه ألبسه الله ثوبَ الذُّل، وأشْمله البَلاء، وألزمه الصَّغارَ، وسامَه الخَسْف، ومَنعه النَّصَف. ألا وإني دعوتُكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلاً ونهارًا، وسرًّا وإعلانًا، وقُلت لكُم: اغزُوهم قبلَ أن يَغزوكم، فوالله ما غُزي قومٌ قط في عُقر دارهم إلّا ذلّوا. فتواكلتم وتخاذلتم وثَقُل عليكم قَوْلي، فاتخذتمُوه وراءَكم ظِهْريًّا، حتى شنّت عليكم الغارات. هذا أخو غامِد، قد بلغت خيلُه الأنبار، وقَتل حَسّان البَكْريّ، وأزال خَيْلَكم عن مَسارحها، وقَتل منكم رجالاً صالحين. ولقد بَلغني أنّ الرجل منهم كان يَدْخل على المَرأة المُسلمة والأخرى المُعاهَدَة فَينْزِع حِجْلها وقُلْبها ورِعاثَها، ثم انصرفوا وافرِين، ما كُلِم رجلٌ منهم. فلو أنّ رجلاً مُسْلمًا ماتَ من بعد هذا أسفًا ما كان

(١) نهج البلاغة: ص ١٢١- ١٢٧.

عنـدي مَلُومًا، بل كان عنـدي جدِيرًا. فواعجبًا مِن جِد هؤلاء في باطلهم، وفَشَلكم عن حَقّكم! فقُبحًا لكم وَتَرَحًا! حين صرتم غرضًا يُرمى، يُغارُ عليكم ولا تُغيرون، تُغزَوْن، ولا تَغْزُون ويُعصى اللهُ وتَرْضون! فإذا أمرتكم بالمَسير إليهم في أيام الحَرّ قُلتـم: حَمَّارةُ القَيْظ، أَمهلنا حتـى ينْسلخ عنَّا الحـرُّ، وإذا أمرتُكم بالمسير إليهم ضُحى في الشّتاء، قلتم: أمْهلنا حتى يَنسلخ عنا هذا القرّ.

كُلّ هـذا فِـرارًا من الحَـرِّ والقـرِّ، فأنتم والله مـن السَّيف أفرّ، يـا أشباهَ الرِّجـال، ولا رِجـال! ويـا أحلام أطفال، وعُقـولَ ربّات الحِجَـال! وَدِدْتُ أن الله أخرجنـي مـن بين أظْهُركم وقَبضنـي إلى رَحْمته مِن بينكـم، وأنِّي لم أركم ولم أعرفكم، معرفةً والله جَرّت وَهْنًا، وورّيتم والله صَدْري غَيْظًا، وجَرّعْتموني الموت أنفاسًا، وأفسدتُم عليّ رأيي بالعِصْيان والخذْلان، حتى قالت قريش: إن ابن أبي طالـب شُجاعٌ، ولكـنْ لا عِلْم له بالحَـرب، لله أبوهم! وهَلْ منهم أحـدٌ أشدُّ لها مِرَاسًـا وأطـولُ تجربة منّي! لقد مارستُهـا وأنا ابنُ عِشْرين، فهـا أنذا الآنَ قد نَيَّفت على الستين، ولكنْ لا رأيَ لمن لا يُطاع.

ومن محاسن المخاطبات[1]:

قال: وقال عمارة بن حمزة لأبي العباس، وقد أمر له بجوهر نفيس: وصلك الله يـا أمير المؤمنين، وبرّك، فوالله، لئن أردنـا شكرك على إنعامك، ليقصرن شكرنا عن نعمتك، كما قصر الله بنا عن منـزلتك.

قـال: ودخـل شبيب بن شيبة على المهدي، فقال: يـا أمير المؤمنين، إن الله جـل وعز حيث قسم الدنيا لم يرضَ لك إلا بأرفعها وأشرفها، فلا ترضَ لنفسك مـن الآخـرة إلا بمثل ما رضي لك من الدنيا، وأوصيك يـا أمير المؤمنين، بتقوى الله، فإنها عليكم نزلت ومنكم قُبلت وإليكم تُردّ.

(١) المحاسن والمساوئ ١/١٨٨.

جاء في رسائل الجاحظ:

وقال شـدادٌ الحارثيُّ -وكان خطيبًا عالمًا[1]-: قلت لأمـةٍ سوداء بالبادية: لمن أنت يا سوداء؟

قالت: لسيد الحضر يا أصلع.

قال: قلت: أو لستِ سوداء؟

قالت: أو لست أصلع؟

قلت: ما أغضبك من الحق.

قالت: الحق أغضبك، لا تشتُمْ حتى تُرهب، ولأن تتركه أمثل.

وقـال شداد: لقد كلَّمتهـا، وأنا أظنُّ أنِّي أفي بأهل نجد، وما نزعت عنِّي إلا وأنا عند نفسي لا أفي بأمَتِي.

ومن أجْل الحاجة إلى حُسن البيان، وإعطاء الحروف حقوقَها من الفصاحة رامَ أبـو حذيفـةَ إسقاطَ الراء من كلامـه، وإخراجَها من حـروفِ منطِقه، فلم يـزل يكابِد ذلك ويغالبُه، ويناضله ويساجله، ويتأتَّى لسَتره والراحةِ من هُجْنته، حتَّـى انتظم له ما حـاول، واتَّسق له ما أمَّل، ولـولا استفاضةُ هذا الخبر وظهورُ هـذه الحال حتّى صـار لغرابته مثلاً، ولطَرافته مَعْلمًا، لمـا استجزنا الإقرارَ به، والتأكيـدَ لـه، ولستُ أَعْنِي خُطَبـه المحفوظة ورسائله المخلَّـدة؛ لأنَّ ذلك يحتمل الصَّنعة، وإنما عَنيْتُ محاجَّة الخصوم ومناقلَة الأكْفاء، ومفاوضةَ الإخوان.

خطبة قطري بن الفجاءة في ذم الدنيا[2]:

صَعد قطـريّ بن الفُجَاءة مِنْبر الأزارقة، وهم أحد بني مازن بن عمرو بنِ تميم، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

---

(١) رسائل الجاحظ.

(٢) العقد الفريد ٢/٢٧.

أما بعد، فإني أحَذِّركم الدُّنيا، فإنها حُلوة خضِرة، حُفت بالشَّهوات، وراقت بالقليـل، وتحبّبت بالعاجلة، وغُمِرت بالآمال، وتَحلت بالأماني، وازّيّنت بالغُرور، لا تَدُوم خضرتها، ولا تُؤْمَن فَجْعَتها، غَدَّارة ضَرَّارة، وحائلة زائلة، ونافدة بائدة، لا تَعْدو إذا هي تَنَاهت إلى أمنية أهل الرغْبة فيها والرِّضا عنها أن تكون كما قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾﴾ الكهف.

مـع أنَّ أمـراً لم يكن منهـا في حَـبْرة إلا أعْقبته بعدها عَـبْرة، ولم يَلْقَ من سَرّائها بَطْنًا إلا مَنَحته من ضَرّائها ظَهْرًا، ولم تَطُلّه منها دِيمة رَخاء، إلا هَطلت عليـه مُزْنـة بَلاء؛ وحَرِيٌّ إذا أصبحتْ له مُنتصـرة أنْ تُمْسي له خاذلة مُتَنَكِّرة، وإنْ جانبٌ منها اعـذوذب واحلولى، أمرّ عليه منها جانب فأوْبى، وإن لَبِس امرؤ مـن غَضَارتها ورفاهِيتهـا نِعمًا، أرْهَقَتْه من نوائبها غممًا، ولم يُمْس امرؤ منها في جَناح أمْن، إلا أصْبح منها على قوادم خَوْف.

غـرارة غرُور ما فيها، فانيـة فانٍ ما عليها، لا خيْرَ في شـيء من زادها إلّا التّقوى، مَن أقل منها استكثر مما يؤمّنه، ومن استكثر منها استكثر مما يُوبقه. كم واثق بها قد فَجَعَته، وذي طمأنينة إليها قد صَرَعَته، وكم من ذي اختيال فيها قـد خَدَعَته، وكم من ذي أبهة فيها قد صيَّرتـه حَقيرًا، وذي نخْوَة فيها قد ردَّته ذليـلًا، وذي تـاجٍ قد كَبَّته لليدين والفـم. سُلطانها دُوَل، وعيشهـا رَنِق، وعذْبُها أجَاج، وحُلْوها مُرّ.

وسمع الأحنفُ رجلاً يقول[1]:

(١) البيان والتبيين ١/٧٦.

التعلُّم في الصِّغَر كالنَّقش في الحجر، فقال الأحنف: الكبيرُ أكبرُ عقلاً، ولكنه أَشْغَل قلبًا.

ومما ذمُّوا به العِيَّ قولُه [1]:

وما بيَ مِن عِيٍّ ولا أنطقُ الخَنَا إذا جمع الأقوامَ في الخطب مَحْفِلُ

بدء الخطب وختامها:

قال ابن قتيبة في عيون الأخبار[2]: تتبعت خطب رسول الله ﷺ، فوجدت أوائل أكثرها الحمد لله نحمده ونستعينه،ونؤمن به، ونتوكل عليه، ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهدِه الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

ووجدت في بعضها: أوصيكم عباد الله بتقوى الله، وأحثكم على طاعته، ووجدت كل خطبة مفتاحها الحمد إلا خطبة العيد فإن مفتاحها التكبير.

وروى ابن عبد ربه في العقد قال[3]: وكان آخر كلام أبي بكر الذى إذا تكلم به عرف أنه قد فرغ من خطبته: اللهم، اجعل خير زماني آخره، وخير عملي خواتمه، وخير أيامى يوم ألقاك.

وكان آخر كلام عمر الذى إذا تكلم به عرف أنه فرغ من خطبته: اللهم، لا تدعني في غمرة، ولا تأخذني على غرة، ولا تجعلنى من الغافلين.

---

(١) المصدر نفسه ١/١.

(٢) عيون الأخبار١/٢٢١.

(٣) ٣/١٥٠.

وكان عبد الملك بن مروان يقول في آخر خطبته: اللهم، إن ذنوبي قد عظمت وجلّت أن تحصى، وهي صغيرة في جنب عفوك، فاعفُ عني.

ومن مساوئ المخاطبات: خطب أحدهم في حفل زواج، فقال: (الحمدُ للهِ مفرِّقِ الأحبةِ، ومعيدِهم إلى التربةِ، خالقِ الموت، ومبدِّدِ الشَّملِ، ومُبَعِّدِ الآمالِ، ومُدني الآجال [1].

(١) نثر الدر ج٧: ص ٢٩٤- ٢٩٦.

obeikandl.com

الفصل السابع

مهارتا السؤال والجواب

قال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**العلم قفْلٌ ومفتاحهُ المسألةُ**».

«البديع ٢١، والصناعتين ٢١٣

قال المنتصر لأبي العيناء: **ما أحسنُ الجواب؟**

قال: ما أسكت المُبْطِلَ، وحيَّرَ المُحِقَّ. (زهر الآداب ٢/٧٩٣ والمنتخب والمختار ٤٢٧).

١- ماهية السؤال.

٢- أدوات السؤال.

٣- مهارة الجواب:

أ. تعريفها.

ب. صفات المجيب.

٤- نصوص قرآنية في السؤال والجواب.

٥- نصوص تراثية في السؤال والجواب.

obeikandl.com

obeikandl.com

مهارتا السؤال والجواب:

مهارتـان في مهـارة واحـدة، إذ إنَّ كلَّ واحدة تقتضي الأخـرى، فمن كان ماهرًا في السؤال فلا بدَّ أن يكون ماهرًا في الجواب.

وماهية السؤال ثلاثة أحوال:

- **فـالأول: الطلب ببذل شـيءٍ**، وكيفية السـؤال بطلب شيء، يتعدى الفعل بنفسه، فنقول: سألته عطاءً، أو رتبة، أوقضاءَ حاجةٍ. وجاء في كتاب التعريفات للجرجاني «السؤال: طلب الأدنى من الأعلى».

- **والثـاني طلـب المعرفـة**، أو كما قال أهل البلاغة: طلـب العلم بشيءٍ لم يكـن معلومًا من قبل، كالإخبار عن شيءٍ، فيتعدّى الفعل بـ (عن) فنقول: سألته عـن مسألة رياضية، أو سألته عـن اسم فاتح الأندلس. هذا إذا استخدمنا لفظ الفعـل سأل، وما تصرَّف منه. ونستخدم في ذلك أيضًا أدوات الاستفهام، وهي: (**الهمـزة، وهـل، ومَنْ، وما، ومتى، وكم، وأين، وأيّـانَ، وأنَّى**) ولكل أداةٍ من هذه الأدوات خاصية ليست للأخرى، ويقيَّدُ استعمالها بالمسؤول عنه.

أدوات السؤال.

فـ (**الهمزة**) تأتي لمعرفة أحد شيئين أنت متردّدٌ في معرفة أيِّهما قام بالفعل أو وقع عليه، كسؤالك: أأنتَ الناجحُ أم عليّ؟ أفريقكَ انهزم أم فريقه؟

وتأتـي كذلك لإثبات النسبة هل تصح أم لا؟ كسؤالك: أيلتئمُ جرحُ مريض السكري؟

و(**هل**) تأتي لمعرفة الإثبات أو النفي، كسؤالك: هل سافرت؟ ويأتي الجواب، بنعم، أو لا.

و(مَنْ) يسأل بها عن العاقل، كسؤالك: من أمر ببناء مدينة بغداد؟ ويكون الجواب بتعيين المسؤول عنه، فتجيب: أبو جعفر المنصور.

و(ما) تأتي لشرح الاسم وتوضيح حقيقة المسمى، كسؤالك: ما الأوزون؟ وإذا سُئل بها عن العاقل كسؤالك: **ما زيد؟ تعني: أطويل أم قصير؟ أفقيه أم طبيب؟ فكأنك تسأل عن صفاته.**

و(متى) تأتي لتعيين الزمان، ماضيًا كان أو مستقبلاً، كسؤالك: متى إجازة الصيف؟

و(أيّان) تأتي لتعيين الزمان للمستقبل فقط، كقول الله تبارك وتعالى: ﴿يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴿٦﴾﴾ القيامة.

و(أين) وتأتي للسؤال عن المكان، كسؤالك: أين وقع الإعصار؟

و(أنَّى) وتأتي ليسأل بها عن معانٍ عدة، فتأتي بمعنى: كيف، ومِنْ أينَ، ومتى.

كقول الله تبارك وتعالى: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَـٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَـٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾﴾ آل عمران.

و(كيف) يسأل بها عن الحال، كما ورد في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾﴾ الرعد.

و(كم) يسأل بها عن العدد كقوله تبارك وتعالى: ﴿كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾﴾ الدخان.

و(أي) يسأل بها لمعرفة أحد المتشاركين، كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا بَيِّنَـٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾﴾ مريم.

وحقيقة الثالث التحوُّل من حقيقة السؤال إلى معانٍ أخرى، تُفهمُ من سياق الكلام، كخروج السؤال إلى: النفي، والإنكار، والتقرير، والتوبيخ، والتعظيم، والتمني والتشويق، والتحقير، والاستبطاء، والتعجب.

النفي:

قال تعالى: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾ البقرة.

وكما يقول الزمخشري: «أي ما كنتم حاضرين يعقوب عليه السلام إذ حضره الموت.

الإنكار:

قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾﴾ الفرقان.

أنكروا أن يكون الرسول بَشَرًا يأكل الطعام، ويمشي في الطُّرق، كما يمشي سائر الناس يطلب المعيشة؛ والمعنى: أنه ليس بملَك ولا ملِك؛ لأن الملائكة لا تأكل، والملوك لا تتبذَّل في الأسواق، فعجبوا أن يكون مساويًا للبشر لا يتميَّز عليهم بشيء؛ وإنما جعله الله بشرًا؛ ليكون مجانسًا للذين أُرسل إليهم.

ومثال آخر:

قال تعالى: ﴿قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾﴾ البقرة.

التقرير:

قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾﴾ الروم.

يقول الزمخشري: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟﴾ تقرير لسيرهم في البلاد، ونظرهم إلى آثار المدمّرين من عاد وثمود وغيرهم من الأمم العاتية.

وفي قوله تبارك وتعالى: ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾﴾ البقرة. تقرير، بل الله أعلم.

الاستبطاء:

قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾ البقرة

التوبيخ:

قال تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ البقرة.

الهمزة للتقرير مع التوبيخ والتعجيب من حالهم،... ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ توبيخ عظيم بمعنى: أفلا تفطنون لقبح ما أقدمتم عليه حتى يصدكم استقباحه عن ارتكابه، وكأنكم في ذلك مسلوبو العقول؛ لأن العقول تأباه وتدفعه.

الاستهزاء والسخرية:

قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾﴾ الفرقان.

تهكم وتوبيخ:

قال تعالى: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ الصافات.

يقول الزمخشري: هذا تهكم بهم وتوبيخ لهم بالعجز عن التناصر بعد ما كانوا على خلاف ذلك في الدنيا متعاضدين متناصرين.

التفضيل:

قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩﴾﴾ الزمر.

الجواب ببلى: إذا اجتمع الاستفهام مع النفي بلا أو ليس، كقوله ﷻ: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ النور.

قال تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾﴾ يس. وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَالِ هَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا ﴿٧﴾﴾ الفرقان.

قضايا في السؤال:

من هذه القضايا آداب السؤال، ومن آدابه:

١- التلطف وحسن الخطاب في توجيه السؤال.

٢- عدم الحياء من سؤال ما نحتاج إلى فهمه، قالت عائشة رضي الله عنها: «رحم الله نساء الأنصار، لم يكن الحياء يمنعهن أن يتفقهن في الدين».

٣- الإيجاز في السؤال؛ لأن الإطالة في السؤال يُنسي آخرها أوَّلَها، ولذلك جاءت الأسئلة في القرآن الكريم والسنة النبوية، موجزة، فالسؤال عن الساعة، أو الأهلة، أو المحيض، أو الشهر الحرام، أسئلة موجزة غاية الإيجاز.

٤- الإقلال من الأسئلة؛ لأنَّ كثرتها والإلحاح فيها يؤديان إلى عكس المطلوب. وقد ورد النهي عن كثرة الأسئلة، وقد جاء في الحديث الصحيح: «إنّ الله كره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال[١]».

٥- إيراد السؤال بأسلوب واضح لا لبس فيه ولا غموض.

٦- عدم توجيه أسئلة تعجيزية، أو محرجة، أو معروفة لدى السائل، أو مثيرة قد تحدث ما لا تحمد عقباه، وقد ورد عن الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه قوله: سل تفقهًا، ولا تسأل تعنتًا[٢].

٧- اختيار الوقت المناسب للسؤال.

السؤال والنهي عن السؤال:

وقوله عز وجل: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴿٢٤﴾﴾ الصافات.

قال الزجاج: سُؤَالُهم سُؤَالُ توبيخ وتقرير لإيجاب الحجة عليهم؛ لأن الله جل ثناؤه عالم بأعمالهم وقوله: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْئَلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴿٣٩﴾﴾ الرحمن.

أي لا يُسْأَل ليُعْلم ذلك منه؛ لأن الله قد علم أعمالهم والسُّوال ما سألَتْه، وفي التنزيل العزيز قال تعالى: ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾﴾ طه.

أي أُعْطِيت أُمْنِيَّتك التي سَأَلْتها.

---

(١) مسند الإمام أحمد رقم ١٨١٧٩.

(٢) نهج البلاغة: ص ٧٣٢.

وسَأَلْتُه الشيءَ وسَأَلْته عن الشيء سُؤالاً ومَسْأَلة، قال ابن بري: سَأَلته الشيءَ بمعنى اسْتَعْطَيته إياه، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴿٣٦﴾﴾ محمد.

وسأَلْته عن الشيء استخبرته.

وفي الحديث: «**أَعْظَمُ المسلمين في المسلمين جُرْمًا من سَأَلَ عن أَمر لم يُحَرَّم فحُرِّم على الناس من أَجل مَسْأَلته**[1]».

قال ابن الأَثير: السؤال في كتاب الله، والحديث نوعان: أَحدهما ما كان على وجه التبيين والتعلم مما تَمَسُّ الحاجة إِليه، فهو: مباح، أَو مندوب، أَو مأْمور به، والآخر ما كان على طريق التكلف والتعنُّت فهو مكروه ومَنْهِيٌّ عنه، فكل ما كان من هذا الوجه ووقع السكوت عن جوابه فإِنما هو رَدْعٌ وزَجْرٌ للسائل، وإِن وقع الجواب عنه فهو عقوبة وتغليظ.

النهي عن السؤال:

إذا كان للسؤال كل هذه الأهمية، فقد يسأل سائل، ولماذا ورد في القرآن الكريم النهي عن السؤال في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُوا۟ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾﴾ المائدة.

قال ابن كثير: «هذا تأديب من الله [تعالى] لعباده المؤمنين، ونهي لهم عن أن يسألوا ﴿عَنْ أَشْيَآءَ﴾ مما لا فائدة لهم في السؤال والتنقيب عنها؛ لأنها إن أظهرت لهم تلك الأمور ربما ساءتهم وشق عليهم سماعها، كما جاء في الحديث:

(١) سنن أبي داود رقم ٤٦١٢.

أن رسول الله ﷺ قال[1]: «**لا يُبْلغني أحد عن أحد شيئًا، إني أحب أن أخرج إليكم، وأنا سليم الصدر**». وقول الرسول ﷺ [2] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَة رَفَعَهُ: «**مِنْ حُسْن إِسْلَام الْمَرْء تَرْكه مَا لَا يَعْنِيه**» أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيّ وَحَسَّنَهُ.

قَوْله: (بَاب حِفْظ اللِّسَان).

أَيْ عَنْ النُّطْق بِمَا لَا يَسُوغ شَرْعًا مِمَّا لَا حَاجَة لِلْمُتَكَلِّمِ بِهِ. وَقَدْ أَخْرَجَ أَبُو الشَّيْخ فِي «كِتَاب الثَّوَاب» وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «الشُّعَب» مِنْ حَدِيث أَبِي جُحَيْفَةَ رَفَعَهُ: «**أَحَبّ الْأَعْمَال إِلَى الله حِفْظ اللِّسَان**».

والآية الكريمة والحديث الشريف لا يدلُّ نهيهما على أنه نهي مطلق شامل، ولكنه نهي محدد بحدود الأدب والمنفعة، والانشغال بالمهم من الأمور.

فالأدب مع رسول الله ﷺ الانتظار حتى يبين لنا، فلا نكثر عليه، ولا نضطره للإجابة التي قد تكون في غير الصالح العام، وكذلك عدم الإلحاح والإلزام والاختبار، كما كانت تفعل اليهود.

فعلى المرء أن يسأل عمّا ينفعه، ويترك السؤال عمَّا يضرُّه، ولا يعنيه بحال من الأحوال.

مهارة الجواب:

قال الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه: (**إذا ازدحم الجواب خفي الصواب**) نهج البلاغة ٧١١ .

---

(١) تفسير ابن كثير ٤٨٦/٦.

(٢) موطأ مالك باب ما جاء في حسن الخلق رقم ١٦٣٨.

قلنـا: إنَّ مهـارة السؤال تقتضي مهـارة الجواب، فهمـا متلازمتان تلازم وجـوب، ومترابطتـان ترابط استدعـاء، فالسؤال يستدعي الجـواب، ولا جواب دون سابقـة سؤال، ولو أخذنا الفعل (جـوب) وجبنا في تصريفاته، لوجدنا أنَّ في أَسمـاءِ الله المُجِيب، وهو الذي يُقابِلُ الدُّعـاءَ والسُّؤَال بالعَطاءِ والقَبُول سبحانه وتعالى، وهو اسم فاعل مِن أَجاب يُجِيبُ.

والجَـوابُ معـروفٌ: رَدِيـدُ الكلام. والفِعْـل أَجابَ يُجِيبُ قـال الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ البقرة.

أَي فَلْيُجِيبـوني، وقال الفرَّاءُ: يقال: إنها التَّلْبِيةُ، والمصدر الإِجابةُ، والاسم الجَابةُ بمنـزلة الطاعةِ والطاقة، والإِجابةُ: رَجْعُ الكلام، تقول: أَجابَه عن سُؤَاله وقد أَجابَه إِجابةً وإِجابًا وجَوابًا وجابةً واسْتَجْوَبَه واسْتَجابَه واسْتَجابَ له.

والمُجاوَبـةُ والتَّجـاوُبُ: التَّحـاوُرُ، وتجَـاوَبَ القومُ جـاوَبَ بَعضُهـم بَعْضًا، واسْتَعمله بعضُ الشُعراءِ في الطير، فقال جَحْدَرٌ:

ومِمَّـا زادَني فاهْتَجْتُ شَوْقًا ... غِـنَـاءُ حَـمـامَـتَـيْنِ تجَـاوَبـانِ
تجَـاوَبَـتـا بِـلَـحْـنٍ أَعْـجَـمِـيٍّ ... على غُصْنَيْنِ مِـن غَـرَبٍ ويَـانِ

صفات المجيب:

وكما السائل، فإنَّ على المجيب أن يتحلّى بآداب وصفات، من أهمها:

١- العلم الدقيق، والإحاطة الشاملة في تخصصه الذي يُسأَل عنه.
٢- البديهة الحاضرة.
٣- التوثُّق من الإجابة الصحيحة.
٤- الردُّ المفهم الكافي.

٥- **اختلاف الجواب بحسب اختلاف حال السائل**، فالإجابة تكون على حسب السائل في قدراته وعلمه وتخصصه، وهذا ما نلحظه في حياتنا، فإجابة الطبيب لطبيب غير إجابته لمريض، أو مهندس لمهندس غير ما يجيب رجلاً عاديًا.

٦- **العودة للحق إذا أخطأ.**

وأحسنُ الجواب كُلّه ما كان حاضرًا مع إصابة مَعنى وإيجاز لَفْظ.

جاء في أمثال العرب: (**أَساءَ سَمْعًا فأَساءَ جابةً** [١]).

هذا المثل على ما ذكر الزُّبَيرّ بن بكار، أَنه كان لسَهلِ بن عَمْرو ابنٌ مَضْعُوفٌ، فقال له إنسان: أَين أُمُّكَ؟ أي أَين قَصْدُكَ؟ فظَنَّ أَنه يقول له: أَين أُمُّكَ؟ فقال: ذهَبَتْ تَشْتَرِي دَقِيقًا. فقال أَبُوه: أَساءَ سَمْعًا فأَساءَ جابةً.

نصوص قرآنية في السؤال والجواب:

(سألوا) قال تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ ۚ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾ ﴾ النساء.

(يسألونك) في ثماني آيات عشر مرات:

قال تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾ ﴾ البقرة.

---

(١) معجم الأمثال مادة (سمع).

قال تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾ ﴾ البقرة.

قال تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾ ﴾ البقرة.

قال تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ ﴾ البقرة.

قال تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۙ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤﴾ ﴾ المائدة.

قال تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾ ﴾ الأعراف.

قال تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾ ﴾ الأنفال.

قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾﴾ النازعات.

قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾﴾ البقرة.

قال تعالى: ﴿سَلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ ۗ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢١١﴾﴾ البقرة.

قال تعالى: ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾﴾ المعارج.

نصوص تراثية في مهارتي السؤال والجواب

قال الشاعر:

قِف إن شَكَكتَ وَلا تَقدُم عَلى عَملٍ ... قَبلَ السؤالِ فَإن العَقلَ في عَقلِ
إن لَم تُكن بِسؤالِ العِلمِ مُحتَفِلاً ... وَلا اِجتَهدتَ فَقُل: يا ضَيعَةَ الأَجلِ
وَإِن عَلِمتَ وَلَم تَعمَل عَلى وَجلٍ ... فَما رَبحتَ فَقُل: يا خَيبَةَ الأَملِ

من كتاب آداب الأكل:

ألا يستحي من سؤال ما أشكل عليه، ويفهم ما لم يتعقله بتلطف وحسن خطاب، وأدب وسؤال.

قالت عائشة رضي الله عنها: «**رحم الله نساء الأنصار، لم يكن الحياء يمنعهن أن يتفقهن في الدين**[1]».

(١) ورد الحديث في صحيح البخاري باب الحياء في العلم ج١ ص ٤٤ برواية «نعم النساء نساء الأنصار...».

وقد قيل: من رقّ وجهه عند السؤال، ظهر نقصه عند اجتماع الرجال.

ولا يسأل عن شيء في غير موضعه إلا لحاجة، أو علم بإيثار الشيخ ذلك، وإذا سكت الشيخ عن الجواب لم يلح عليه، وإن أخطأ في الجواب فلا يرد عليه في الحال، وقد تقدم.

وكما لا ينبغي للطالب أن يستحي من السؤال، فكذلك لا يستحي من قوله: «لم أفهم» إذا سأله الشيخ؛ لأن ذلك يفوت عليه مصلحته العاجلة والآجلة، أما العاجلة فحفظ المسألة ومعرفتها، واعتماد الشيخ فيه الصدق والورع والرغبة، والآجلة سلامته من: الكذب، والنفاق، واعتياده التحقيق.

مراعاة نوبته، فلا يتقدم عليها بغير رضى من هي له.

روي أن أنصاريًّا جاء إلى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يسأله، وجاء رجل من ثقيف، فقال ﷺ: **«يا أخا ثقيف، إن الأنصاري قد سبقك بالمسألة، فاجلس كيما نبدأ بحاجة الأنصاري قبل حاجتك»**.

من كتاب أدب السؤال للشيخ صالح آل الشيخ:

موضوعنا عن أدب السّؤال الذي هو سؤال أهل العلم، والحاجة ماسّة إلى معرفة آداب سؤال أهل العلم، ما طريقة سؤالهم؟ وعمّ يُسألون؟ وكيف يكون السؤال؟ وكيف تتلقى الإجابة؟ وما ينبغي للمسلم من توقير أهل العلم وعدم الإلحاح عليهم بالمسائل ونحو ذلك من الآداب؟.

كان الصحابة رضوان الله عليهم ينتظرون الآتي من خارج المدينة حتى يسأل النبي ﷺ فيستفيدوا من السؤال ومن الجواب، وقد جاء أيضًا في الحديث الصحيح: **«إنّ الله كره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال»** وقد قال أيضًا الحجاج بن عامر الثُّمالي أن رسول الله ﷺ قال: **«إياكم وكثرة السؤال»**

فالأحاديث دالة على أن كثرة الأسئلة لأهل العلم إنما ذلك داخل في المكروه، إلا ما يحتاج إليه العبد فيما يأتي بضوابطه، والله جلّ وعلا أمر المؤمنين بأنْ يسألوا إذا جهلوا، وقد قال سبحانه وتعالى لما أنكر كفار قريش أن يكون الرسول بشرًا رجلاً، وقالوا: إن الرسول يجب أن يكون ملكًا. قال سبحانه وتعالى في سورة النحل: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٤٣﴾ النحل.

سؤال أهل العلم وسؤال أهل الذكر له أحوال، الناس يحتاجون إلى أن يسألوا ولا بد، ولكن هذا السؤال من حيث هو له أحوال:

حالٌ من جهة السائل.

وحالٌ من جهة المسؤول.

فالسائل ينبغي له أن يراعي -تأدبًا وحتى يصل المسؤول إلى الجواب الموافق للحقّ إن شاء الله- يجب على السائل أنْ يراعي آدابا وأن يراعي أشياء منها:

أن تكون مسألته واضحة غير ملتبسة -يعني أن يتبيّن المسألة قبل أن يسأل- فإذا كانت المسألة واضحة كان الجواب واضحًا، ولهذا ترى أنّ أسئلة جبريل عليه السلام للنبي ﷺ دليل على وضوح المسألة، وما ينبني على وضوح المسألة من وضوح الجواب، قال جبريل عليه السلام للنبي ﷺ: «**أخبرني عن الإسلام**» سؤال ملخص وواضح: «**أخبرني عن الإيمان**»: «**أخبرني عن الإحسان؟**» وعن أشراط الساعة قال: «**وما أمارتها**» ونحو ذلك، فوضوح السؤال وقلة ألفاظه باستحضار تفاصيله ووضوح السؤال قبل أن تسأل هذا من الآداب التي ينبغي مراعاتها، وكثيرًا ما تكون الإجابة غير واضحة ؛ لأنّ السائل لم يحسن السؤال، فلو أحسن السائل الاستعداد للسؤال فسأل لكانت الإجابة واضحة.

من الآداب التي ينبغي مراعاتها في السؤال ألا يسأل السائل أهل العلم عن شيء يعرف جوابه.

وذلك لأنّ الله جلّ وعلا قال: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾﴾.

من الآداب المتعلقة بالسائل ألا يسأل السائل عن أشياء لا يفهمها إلا الخاصة ويثير السؤال أمام العامة.

من الآداب التي ينبغي للسائل مراعاتها أن يكون لبقًا مع أهل العلم متأدبًا معهم، وأن يكون لأهل العلم هيبة في صدره، وتوقير في قلبه: فإنّك إذا زدت في احترام العالم وشعر بذلك منك فإنه يزيدك من العلم والجواب؛ لأنك قد تحققت بالزيادة ؛ يعني أصبحت متأهلاً للزيادة ؛ لأنّ دليل تأهّل طالب العلم للتفصيل في الجواب والاستفادة الكاملة من العالم أن يكون متأدبًا معه.

بل يتأدب ويتحيّن الفرصة الجيّدة للعالم، فيسأله.

هنا تنتبه إلى أنّ أوقات العالم تختلف، فهناك وقت قد يكون مناسبًا لك لا يكون مناسبًا له، فيكون الجواب الذي جاءك بحسب حاله هو، قد يكون مستعجلاً، قد يكون وراءه أمر، قد يكون وقت الصلاة قرب، فيريد أن يستعد بوضوء أو نحوه، قد يكون وقت نومه، قد يكون عنده ما يشغله، قد يكون في البيت شيء أهمّه، قد يعالج في ذهنه مسألة من المسائل التي في المجتمع أو التي يريد أن يبذل فيها بعض الشيء فيكون ذهنه منشغلاً، فينبغي أن تراعي حال العالم، حيث تسأله فتقول له: هل هذا وقت مناسب للسؤال أو أرجئ السؤال إلى وقت آخر؟

فإذا قال: أرجئه إلى وقت آخر. فيكون هذا زيادة في أدبك وأجر لك، ويكون قد راعيت وتأدبت، وإذا أتى وقت آخر وسألته يكون مهيأ نفسه لأنّ يفصّل لك ويجيب المسألة بما ينبغي، فالمتصل دائمًا هذا وارد هو المرتاح، وأما المتصل به فلا يُدرى حاله.

فواقع الحال، وواقع العالم النفسي والذهني والزمني والمكاني يفرض عليه أشياء كما سيأتي أيضًا، ولهذا ينبغي أن يراعى ذلك في حال سؤال أهل العلم.

ومن كتاب أدب المجالسة:

ابن عباس رضي الله عنهما حَبْرُ الأمة في القرآن وحَبْرُها؛ يعني كثير العلم في كتاب الله جل وعلا بدعوة النبي ﷺ، مكث زمانًا طويلاً تردّد في نفسه مَن المقصود بالمرأتين في قول الله جلّ وعلا: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾﴾ التحريم.

من المرأتان؟

قال ابن عباس: تردد ذلك في نفسي زمنًا طويلاً، وهِبت أن أسأل عمر؛ لأنّ عمر كان يحب ابن عباس، وكان يقدمه في المجالس، ويباهي به كبار الصحابة، لما يظن ويلمح فيه من: علم، وتُؤدة، وأدب، وفهم عنده في الكتاب والسنة.

قال ابن عباس: هبت أن أسأل عمر عن المرأتين اللّتين تظاهرتا على رسول الله ﷺ. قال: حتى كان منصرفه مرّة من الحج فصحبته، فقال لي: يا ابن عباس، قرّب لي وَضوءًا -يعني ماء-. فلما قرّبت له الوضوء قلت له في أثنائه: يا أمير المؤمنين، مَن المرأتان اللتان قال فيهما الله جل وعلا: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ ﴿٤﴾﴾.

قال: فأجابني عمر، فقال: عائشة، وحفصة.

وكان ابن عباس ربما توسد بردته في يوم حار عند باب أحد الأنصار؛ ليستفيد منه علمًا، سمع عنده حديث عن النبي ﷺ فأراد أن يتثبّت منه أو أراد

أن يأخذه منه مباشرة، فيأتي فيطرق الباب، فيقولون: هو قائل - يعني نائم- أو هو في الدّار، أو مثل ما يقول أحدنا اليوم: هو مشغول أو نحو ذلك فانتظر، انتظر حتى خرج. فلما خرج، قال: يا ابن عمّ رسول الله ﷺ، منذ متى وأنت هنا؟ فقال ابن عباس: منذ كذا وكذا. وكان يتوسد البردة، وتسفي الريح التراب عليه تذلّلاً في العلم، واحترامًا لأهل العلم.

فكان ابن عباس إذا سأل أُجيب غير كثير ممن هم في طبقته من الصحابة رضي الله عن الجميع، ولهذا قال كلمته المشهورة: ذللتُ طالبًا فعززت مطلوبًا. يعني لّما كنت طالبًا كنت أذلّ لمن أستفيد منه، ولكن لما احتاج الناس إلي عززت مطلوبًا؛ لأنه صار عندي من العلم ما ليس عند غيري.

وقد قال ابن عباس لبعض الأنصار - وكان صديقًا له -: اذهب بنا يا أخي، إلى صحابة رسول الله ﷺ نسألهم عن العلم، ونستفيد منهم.

فقال ذاك الأنصاري: يا ابن عباس، أتظنّ النّاس سيحتاجون إليك، وهؤلاء صحابة رسول الله ﷺ الكبار بين ظهرانيهم؟.

قال: فتركت العلم والسؤال، وذهب ابن عباس يسأل. ذهب كبار الصحابة فأتى زمن ابن عباس فيه هو من كبار صحابة رسول الله ﷺ، فاحتاج الناس إلى علمه، وأصبح يجيب الناس بما فتح الله جلّ وعلا عليه، ومنّ عليه من العلم.

أما العالم فأيضًا يحتاج إلى أن يكون - أو طالب العلم - معه أدب في الجواب، من الأدب المهم أيضًا -أدب السائل- ألا يحرج السائلُ العالَم أو طالب العلم.

العودة إلى الحق.

أخطأ ابن حزم في مسائل في الحج ما السبب؟

إنه قرأها، وما حجّ، ورأى المشاعر، ورأى ما فيه الناس.

شيخ الإسلام ابن تيمية كتب منسكًا من المناسك على ما هو موجود عنده في الكتب، ثم لما حجّ غيّر رأيه في مسائل كثيرة.

إذا كنت لا تعلم فسل، وأما كل شيء تسأل عنه في موقع واحد تسأل عشرين ثلاثين سؤالاً، هذا غير محمود.

فإذن هذا القسم وهو السؤال عن أشياء لم تقع وكثرة المسائل باقٍ في النهي عنه فإنما أهلك من كان قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم.

وإنما يختلف الجواب بحسب اختلاف الحال، يفصل في موضع، لا يفصل في موضع، يمتنع عن الجواب في موضع، إلى آخر ذلك.

النبي عليه الصلاة والسلام كان يتكلم، فأتاه رجل فسأله: متى الساعة؟ فلم يجبه عليه الصلاة والسلام، وأكمل حديثه.

ثم سأله: متى الساعة؟ وأكمل حديثه، ثم قال: متى الساعة؟

فأجابه النبي ﷺ عن السؤال: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾﴾ النازعات. ما يعلمها عليه الصلاة والسلام ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ﴾ الأعراف. جلّ وعلا، فلما ألحّ في المسألة كره النبي ﷺ ذلك منه وقال: «**إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة**»، هذا الجواب غير السؤال –صحيح؟– لأنّ السؤال كان بـ(متى) عن الزمن، والنبي ﷺ أجابه بقوله: «إذا وسد» بعلامة من العلامات، وأشراط الساعة معلومة.

كذلك في قول الله جلّ وعلا لما سأل النبيَّ عليه الصلاة والسلام الناسُ عن الأهلّة كان الجواب: ﴿قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ﴿١٨٩﴾﴾ البقرة.

الصحابة -يعني بعضهم- سألوا وقالوا: لِمَ يبدأ الهلال في أوّل الشهر رفيعًا، ثم يكبر ثم يكبر حتى يستتم؟ يعني هل هم يفهمون وضع الأرض ووضع القمر إلى آخره لو فصل لهم؟ لن يفهموا ذلك، سألوا سؤالاً لا تستوعب الجواب عليه عقولُهم، فكان الجواب: ﴿قُلْ هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ﴿١٨٩﴾﴾ أجيبوا بشيء غير السؤال بما ينفعهم ؛ وهو أنّ الأهلّة هذه مواقيت، لِمَ يبدو كذا ثم يكون كذا؟ هذا عُدل عن الجواب عنه، وفي هذا أصل شرعي في أنّ العالم قد يعدل عن الجواب إلى شيء آخر، إلى هنا انتهى ما اخترناه من كتاب أدب المجالسة.

البديهة في الجواب:

قيل للعباس بن عبد المطلب [1]: أنت أكبر أم رسول الله، ﷺ؟

فقال: هو عليه السلام أكبر مني، وولدت قبله.

وقيل: إنه قال: وأنا أسنّ منه.

ويقال: إن سعيد بن مرة الكندي، حين أتى معاوية قال له:

أنت سعيد؟

فقال: أمير المؤمنين سعيد، وأنا ابن مرة.

قيل: ودخل السيد بن أنس الأزدي على المأمون، فقال:

أنت السيد؟

فقال: أنت السيد يا أمير المؤمنين، وأنا ابن أنس.

قيل: وقال الحجاج للمهلب:

---

(١) هذه الأقوال وما بعدها في بديع الزمان الهمذاني: ص ٢٨٥.

أنا أطول أم أنت؟

فقال: الأمير أطول، وأنا أبسط قامة.

قال: ووقف المهدي على امرأة من بني ثعل، فقال لها:

ممن العجوز؟

قالت: من طيء.

قال: ما منع طيئًا أن يكون فيها آخر مثل حاتم؟

فقالت: الذي منع العرب أن يكون فيها آخر مثلك. فأُعجب بقولها ووصلها.

قال: وقدم وفدٌ من العراق على عمر بن عبد العزيز، فنظر عمر إلى شابٍّ فيهم يريد الكلام.

فقال عمر: أولو الأسنان أولى.

فقال الفتى: يا أمير المؤمنين، إن الأمر ليس بالسن، ولو كان كذلك لكان في المسلمين من هو أسن منك.

فقال: صدقت، تكلم.

قال: يا أمير المؤمنين، إنا لم نأتِك رغبة ولا رهبة، أما الرغبة فقدمت علينا في بلادنا، وأما الرهبة، فقد آمننا الله بعدلك من جورك.

قال: فما أنتم؟

قال: وفد الشكر.

قال: لله أنت، ما أحسن منطقك!

obeikandl.com

وقيـل: إنه لما استوسق أمـر العراق لعبد الله بن الزبـير وجّه مصعب إليه وفدًا، فلما قدم عليه الوفد، قال: وددت أن لي بكل خمسة منكم رجلاً منهم.

فقال رجل من أهل الشام: بل وددت أن لي بكل عشرة منكم رجلاً منهم.

فقال رجل من أهل العراق: يا أمير المؤمنين، علقناك، وعلقت بأهل الشام، وعلق أهل الشام آل مروان، فما أعرف لنا ولك مثلاً إلا قول الأعشى:

عُلّقتها عرضًا وعلقت رجلا

غيري وعُلّق أخرى غيرها الرجل

فما وجدنا جوابًا أحسن من هذا.

مساوئ الجواب[1]:

قيل: إنه اجتمع عند رسول الله ﷺ، الزبرقان بن بدر، وعمرو بن الأهتم، فذكـر عمرو الزبرقان، فقال: بأبـي أنت وأمي يا رسول الله، إنه لمطاع في أدانيه شديد العارضة، جواد الكف، مانع لما وراء ظهره.

فقـال الزبرقان: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، والله، إنه ليعرف مني أكثر من هذا، ولكنه يحسدني.

فقال عمرو: والله، يا نبي الله، إنه لزمر المروءة، ضيق العطن، لئيم العم، أحمق الخال، والله ما كذبت في الأولى، ولقد صدقت في الأخرى، ولكني رضيت، فقلت: بأحسن ما أعلم، وسخطت، فقلت: بأسوإ ما أعلم.

فقال رسول الله ﷺ: «**إن من البيان لسحرًا**»[1].

قال: وقال المنصور لقواده: صدق القائل: أجع كلبك يتبعك.

---

(١) هذه الأقوال وما بعدها في المحاسن والمساوئ ١/١٩٧- ١٩٨.

فقال أبو العباس الطوسي: يا أمير المؤمنين، أخاف أن يلوّح له رجل برغيف فيتبعه ويدعك.

الخجل والعلم:

قال أحد العلماء: فاتني نصف العلم.

فقيل له: وكيف ذلك؟

قال: تصدَّرتُ، ولم أكُنْ للتَّصدُّرِ أهلًا، واستحييتُ أنْ أسألَ مَنْ دوني، وأختلفُ إلى مَنْ فوقي، فذلك الجهلُ إلى اليومِ في نفسي.

قال: وقال المأمون لإبراهيم بن المهدي: شاورت في أمرك فأشاروا عليّ بقتلك.

فقال: أما أن يكونوا نصحوك فيما جرت به السياسة، وحكمت به الرياسة فقد فعلوا،ولكنك تأبى أن تستجلب النصر إلا من حيث عودك الله، فإن عاقبت فلك نظير، وإن عفوت فليس لك نظير، وإن جرمي يا أمير المؤمنين، أعظم من أن أنطق فيه بعذر، وعفو أمير المؤمنين أجلّ من أن يفي به شكر.

فقال المأمون: مات الحقد عند هذا العذر.

فاستعبر إبراهيم، وبكى.

فقال له المأمون: ما لك؟

قال: الندم إذ كان ذنبي إلى من هذه صفته في الإنعام عليّ.

قال: ودخل المأمون ذات يوم إلى الديوان، فنظر إلى غلام جميل على أذنه قلم.

---

(١) وحديث «إنَّ من البيان لسحرًا» في صحيح البخاري رقم ٥١٤٦ وسنن أبي داود رقم ٥٠٠٩.

فقال: من أنت يا غلام؟

قال: يا أمير المؤمنين الناشئ في دولتك، والمتقلب في نعمتك، والمؤمل لخدمتك، الحسن بن رجاء.

فقال المأمون: بالإحسان في البديهة تتفاضل العقول. يرفع عن مراتب الديوان إلى مراتب الخاصة، ويعطى مائة ألف درهم معونة له. ففعل به ذلك.

قال: ودخل يزيد بن جرير على المأمون، وكان وجد عليه.

فقال: أيزيد؟

قال: نعم، يا أمير المؤمنين، غذيّ نعمتك، وخرّيج صنيعتك، وغرس يدك الذي لم يشركك فيه مصطنع، ولم يسبقك إلى تخريجه أحد، ولم أزل يا أمير المؤمنين، بعفوك بعد سخطك راجيًا، وببصيرة رأيك في الانفراد بردّي إلى ما عودتني واثقًا، حتى أقامني الله جل وعز هذا المقام الذي فيه إدراكي أملي، ونيلي محبتي، فإن رأى أمير المؤمنين أن يشهرني برضاه، كما شهرني بسخطه فعل إن شاء الله !

فقال: قد رضي عنك أمير المؤمنين.

وقيل: إنه عزم الفضل بن الربيع على تطهير بعض ولده فأتى الرشيد، فقال: يا سيدي، قد عزم عبدك على تطهير ولده خدمك، فإن رأى أمير المؤمنين أن يزين عبده بنفسه،ويصل نعمته هذه بنعمته المتقدمة، ويتم سروره فعل متفضلاً على عبده متمننًا بذلك.

فقال: نعم.

فغـدا إليه، وقد أصلح جميع ما يحتاج إليـه، ووضعت الموائد، وقعد الناس يأكلـون، وأقبل الرشيد يـدور في داره، فرأى صبيًا صغيرًا أول ما نطق، فقال: يا صبي، أيما أحسن داركم هذه أم دار أمير المؤمنين؟

فقال: دارنا هذه أحسن ما دام أمير المؤمنين فيها، فإذا صار أمير المؤمنين إلى داره فداره أحسن.

فضحـك منه الرشيد، وتعجب من نجابته، ووهب لـه عشر قريات، ومائة ألف درهم.

بل إن معن بن زائدة دخل على المنصور فقال له: هيه يا معن، تعطي مروان ابن أبي حفصة مائة ألف درهم على قوله:

معن بن زائدة الذي زادت به ... شرفًا على شرفٍ بنو شيبان

فقال: كلا، يا أمير المؤمنين، إنما أعطيته على قوله:

مازلت يوم الهاشـمية معلنًا ... بالسيف دون خليفة الرحمن

فمنعت حوزته وكنت وقـاءه ... مـن وقـع كـلّ مهندٍ وسـنان

فقال: أحسنت والله يا معن، وأمر له بالجوائز والخلع.

ووفـد ابن أبـي محجن على معاويـة [1]، فقـام خطيبًا فأحسـن، فحسده معاوية، فقال له: أنت الذي أوصاك أبوك بقوله:

إذا متُّ فادفنّي إلى جنب كرمةٍ ... تروّي عظامي بعد موتي عروقها

ولا تدفنّني في الفلاة فإنّني ... أخـافُ إذا مـا مـتُّ ألا أذوقـها

(١) هذه الأقوال وما بعدها في ثمرات الأوراق ١/ ١٧٢.

قال: بل أنا الذي يقول أبي:

لا تسأل الناس ما مالي وكثرته ... وسائل الناس ما جودي وما خلقي
أعطي الحسام غداة الروع حصّته ... وعاملُ الرمح أرويه من العلق
وأطعن الطعنة النجلاء عن عرضٍ ... وأكتم السّر فيه ضربة العنق
ويعلم الناس أنّي من سراتهم ... إذا سما بصر الرعديد بالفرق

فقال له معاوية: أحسنت والله يا ابن أبي محجن، وأمر له بصلة وجائزة.

ومن ذلك ما يحكى أن الحجاج خرج يومًا متنزهًا، فلما فرغ من نزهته انصرف عنه أصحابه، وانفرد بنفسه، فإذا هو بشيخ من بني عجل.

فقال له: من أين أيها الشيخ؟

قال: من هذه القرية.

قال: كيف ترون عمالكم ؟

قال: شرَّ عمال، يظلمون الناس، ويستحلون أموالهم.

قال: فكيف قولك في الحجاج ؟

قال: ذاك ما ولي العراق شر منه قبَّحهُ الله، وقبَّحَ من استعمله.

قال: أتعرف من أنا؟

قال: لا.

قال: أنا الحجاج.

قال: جعلت فداءَك، أَوَ تعرفُ من أنا ؟

قال: لا.

قال: أنا فلان بن فلان مجنون بني عجل، أصرع في كل يوم مرتين.

قال: فضحك الحجاج منه، وأمر له بصلة.

وقال يهودي لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه[1]: ما لكم لم تلبثوا بعد نبيكم إلا خمس عشرة سنة حتى تقاتلتم؟

فقال علي كرم الله وجهه: إنما اختلفنا عنه لا فيه، وأنتم لم تجف أقدامكم من البلل حتى قلتم: يا موسى، اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة؟.

وقال ملك لوزيره: ما خير ما يرزقه العبد؟ قال: عقل يعيش به، قال: فإن عدمه، قال: أدب يتحلى به، قال: فإن عدمه؟ قال: مال يستره، قال: فإن عدمه؟ قال: فصاعقة تحرقه وتريح منه العباد والبلاد.

خرج إبراهيم النَّخعي وقام سُليمان الأعمش يمشي معه.

فقال إبراهيم: إنّ الناس إذا رَأَوْنا قالوا: أَعْور وأَعمش!

قال: وما عليك أن يَأْثموا ونؤْجَر؟

قال: وما عليك أن يَسلموا ونَسلم.

لقي خالدُ بن صَفْوان الفرزدقَ، وكان كثيرًا ما يُداعبه، وكان الفرزدق دَميمًا.

فقال له: يا أبا فِراس، ما أنت بالذي لما رَأينه أَكْبَرْنه وقَطّعن أيديهنِ؟

قال له الفرزدق: ولا أنت أبا صَفوان، بالذي قالت فيه الفتاة لأبيها: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾﴾ القصص.

وقال رجل للشَّعبيّ: ما كان اسم امرأة إبليس؟

(١) نهج البلاغة: ص ٧٣١ وسراج الملوك ٥٢/١.

قال: إن ذلك نكاح ما شَهدناه.

ودخل رجلٌ على الشَعبي فوجده قاعدًا مع امرأة، فقال: أيّكما الشَّعبيّ؟

قال الشعبي: هذه، وأشار إلى المرأة.

قال رجلٌ من بني لهَب لِوَهْب بن مُنَبّه: ممّن الرجل؟

قال: رجل من اليمن؟

قال: فما فعلتْ أُمّكم بلقيس؟

قال: هاجرتْ مع سُليمان لله ربّ العالمين، وأمّكم حَمّالة الحطب في جِيدها حَبْل من مَسَد.

وقال رجل لابن شُبرمة: مِن عندنا خَرج العِلمُ إليكم؟

قال: نعم، ثم لم يَرْجع إليكم.

قال مُعاوية لعبد الله بن عامر: إنّ لي إليك حاجة.

قال: بحاجةٍ تقضيها يا أميرَ المؤمنين، فَسَلْ حاجتك؟

قال: أريد أن تهب لي دُورك وضِياعك بالطّائف.

قال: قد فعلتُ.

قال: وَصَلَتك رَحِم، فَسَلْ حاجتك؟

قال: حاجتي إليك أن تردَّها عليَّ يا أميرَ المُؤمنين.

قال: قد فعلت.

وقال رجل لثُمَامة بن أَشْرس: إنّ لي إليك حاجةً.

obeikandl.com

قال: وأنا لي إليك حاجة.

قال: وما حاجتُك؟

قال: فَتقْضيها؟

قال: نعم، فلما تَوثق منه قال: فإن حاجتي إليك ألا تسألني حاجة.

أجوبة الأعراب[1]:

- مجاوبة أعرابي للحجاج:

خرج الحجاج ذات يوم فأصحر، وحضر غداؤه، فقال: اطلبوا من يتغدي معي.

فطلبوا، فإذا أعرابي في شملة، فأُتي به، فقال: السلام عليكم.

قال: هلم أيها الأعرابى.

قال: قد دعاني من هو أكرم منك فأجبته.

قال: ومن هو؟

قال: دعاني الله ربي إلى الصوم، فأنا صائم.

قال: وصوم في مثل هذا اليوم الحار؟

قال: صمت ليوم هو أحر منه.

قال: فأفطر اليوم وصُمْ غدًا.

قال: ويضمن لي الأمير أني أعيش إلى غد؟

قال: ليس ذاك إليه.

---

(١) جمهرة خطب العرب ٣/٢٥٤-٢٥٨.

obeikandl.com

قال: فكيف تسألنى عاجلاً بآجل، ليس إليه سبيل؟

قال: إنه طعام طيب.

قال: والله ماطيَّبهُ خبازك ولا طباخك.

قال: فمن طيَّبهُ؟

قال: العافية.

قال الحجاج: تالله إن رأيت كاليوم،أخرجوه عني.

- مساءلة الحجاج أعرابيًّا فصيحًا:

وقال الحجاج لأعرابي كلمة فوجده فصيحًا: كيف تركت الناس وراءك؟

فقال: تركتهم أصلح الله الأمير حين تفرقوا في الغيطان، واخمدوا النيران، وتشكت النساء، وعرض الشاء، ومات الكلب.

فقال الحجاج لجلسائه: أخصبًا نعت أم جدبًا؟

قالوا: بل جدبًا.

قال: بل خصبًا. قوله تفرقوا في الغيطان، معناه: أنها أعشبت، فإبلهم وغنمهم ترعى. وأخمدوا النيران، معناه: استغنوا باللبن عن أن يشتووا لحوم إبلهم وغنمهم ويأكلوها. وتشكت النساء أعضادهن من كثرة ما يمخضن الألبان. وعرض الشاء: استن من كثرة العشب والمرعى. ومات الكلب: لم تمت أغنامهم وإبلهم، فيأكل جيفها.

- مجاوبة أعرابى لعبد الملك بن مروان:

obeikandi.com

ودخل أعرابي على عبد الملك بن مروان، فقال له: يا أعرابي، صف الخمر.

فقال:

شمول إذا شجَّت وفي الكأس مزة ... لها في عظام الشاربين دبيبُ

تريك القذى من دونها وهي دونه ... لوجه أخيها في الإناء قطوبُ

فقال: ويحك يا أعرابي، لقد اتهمك عندي حسن صفتك لها.

قال: يا أمير المؤمنين، واتهمك عندي معرفتك بحسن صفتي لها.

- أجوبة شتى.

وقدم أعرابي إلى السلطان، فقال له: قل الحق وإلا أوجعتك ضربًا.

قال له: وأنت فاعمل به، فوالله، ما أوعدك الله على تركه أعظم مما توعدني به.

وقيل لأعرابي: من أبلغ الناس؟

قال: أحسنهم لفظًا، وأسرعهم بديهة.

وقيل لأعرابى: مالك لا تطيل الهجاء؟

قال: يكفيك من القلادة ما أحاط بالعنق.

وقال معاوية لأعرابية: هل من قرى؟

قالت: نعم.

قال: وما هو؟

قالت: خبز خمير، ولبن فطير، وماء نمير.

وقيل لأعرابي: فيم كنتم؟

قال: كنا بين قدر تفور، وكأس تدور، وحديث لا يحور.

وقيل لأعرابي: ما أعددت للبرد؟ قال: شدة الرعدة، وقرفصاء القعدة، وذرب المعدة.

وقيل لأعرابي: وقد أدخل ناقته في السوق؛ ليبيعها، صف لنا ناقتك.

قال: ما طَلبتُ عليها قط إلا أدركتُ، ولا طُلبتُ إلا فتُّ.

وقيل له: فلم تبيعها؟ قال: لقول الشاعر:

وقد تخرج الحاجات يا أم عامر كرائم من رب بهن ضنين

وقيل لأعرابي: ما عندكم في البادية طبيب؟

قال: حمر الوحش لا تحتاج إلى بيطار.

وقيل لشريح القاضي: هل كلمك أحد قط فلم تطق له جوابًا؟

قال: ما أعلمه إلا أن يكون أعرابيًّا خاصم عندي، وهو يشير بيديه،

فقلت له: أمسك، فإن لسانك أطول من يدك.

قال: أسامري أنت لا تمس؟

وقيل لأعرابي: أي الألوان أحسن؟ قال: قصور بيض في حدائق خضر.

وقيل لآخر: أي الألوان أحسن؟ قال: بيضة في روضة عن غب سارية والشمس مكبدة.